رواية

عماد علي حمد

صكوك الخطيئة

عماد علي حمد

صكوك الخطيئة

رواية

الاصل في كينونة الانسان الشر؛ تُحدد ماهية أفكاره التي ينبثق منها التوجهات الايديولوجية للجماعات المتطرفة، إذ يستغل الاهوت في تفسير وتبرير توجهاتها، يُمثل محيط عميق تستطيع ان تغوص فيه؟ لكن لا تملك القدرة على البقاء في داخلة؛ تناقض الرؤى في تفسير وتحليل النصوص الاهوتية بين الفرق والجماعات المختلفة يخلق معضلة في

قد تتبع رؤية لاهوتية محدده؛ لكن لا يمكن ان تبقى صامدً بالبقاء من دون وجود ايمان مطلق يدفعك للبقاء مده اطول، عند قتل الحق يسود الجهل والظلم والفساد؛ يصبح الصدق منفي والكذب أصل وجود يستمد قوته من الرؤية التراجيدي، في الرؤى الاصولية كل عمل مباح؛ الصبغة الاهوتية تبيح وتتقلل درجة تحريم الفعل مهما كان ينافي

عالم تحكمه المادية النقدية حلت محل الرؤى الاهوتية؛ وكسبت تأييد اكبر مناصفتاً مع الرؤى الطوباوية؛ قتل فرد واحد؛ قد يؤدي الى قتل فكر كامل، رابطة الظلام، أصلت وجودها على بعدين: مادي مثالي وجودي، وبعد اخلاقي جعل من الاهوت تابع ومعزز لوجودها، التأصيل الوجودي المادي؛ يتسم بعدم الثبات المطلق، الروى الميتافيزيقية تلتقي في بعض الاحيان مع الروى الاهوتية وأن اختلـ المسار بينهما،

المحيط، للوصل الى الهدـ المنشود عليكَ أن تؤمن بعدالة السماء

9 879922 615002

العراق - صلاح الدين- تكريت

07710651968 - 07708361926

@dar_alabdaa

صكوك الخطيئة

- اسم الكتاب : صكوك الخطيئة
- المؤلف : **عماد علي حمد**
- الطبعة : الأولى / ٢٠٢٣
- الناشر:

صلاح الدين – تكريت – حي الزهور
٠٧٧١٠٦٥١٩٦٨ – ٠٧٧٠٨٣٦١٩٢٦
Osama196767@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه
إلا بإذن خاص و مسبق من الناشر

- الترقيم الدولي: **987-99-22-6158-0-0**ر.د.م.ك
- الغلاف والإخراج : محمد أسامة صادق

هام : إن جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعتبر بالضرورة في رأي الناشر .

رواية

عماد علي حمد

صكوك الخطيئة

مقدمة

ساو باولو المحيط الأطلسي

في تمام الساعة ٩:٣٧ ليلًا

هرع قبطان سفينة الحوت المعروف (إدوارد داروين) على غير عادته يناظر السماء الصافية في المحيط الأطلسي، لاحظ وجود سرب من طيور البجع البني متجهة من جهة الشرق، بدأ بتفقد طاقم السفينة، فشعر بالخوف وكأن هناك مصيبةً سوف تقع، كان عليه أن يحافظ على إرث العائلة؛ فقد كانت السفينة هي الذكرى الوحيدة من والده، إذ كان يستذكر فيها مواقفه البطولية التي عاشها مع والده ؛ وكيف كان يدافع عما كان والده يؤمن فيه ونشأ عليه، مثل البحار اللاتيني المتعصب في حبه للمحيط الذي غرق فيه في موجة تسونامي التي ضربت سواحل الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين.

حاول على عجلةٍ من أمره أن يغير مسار السفينة إلى شواطئ ساو باولو، تعالى صوته على عمال السفينة لتجنب العاصفة القادمة، سخروا منه وقال له جاك:

لِمَ أنت خائف؟ انظر إلى الأجواء الجميلة من أين تأتي العاصفة؟ أنت لا تمتلك الخبرة التي تمنحك القدرة على التنبؤ بالأحداث القادمة.

- افعلوا ما أطلبه منكم من دون جدال؛ الوقت يداهمنا

تلاحق الأحداث والسعي نحو تحقيق الخلاص الذي أضحى بين يدي المخلصين، غير مدركين أهمية ما يفعلون وما سيفعلون جعل منهم غير مدركين لما سوف يحدث، بعدما نشأ إدوارد في بيئة مليئة بالإجرام أثر ذلك على حياته، كرَّس حياته لخدمة قضيته وتربية أبنائه في السياق نفسه الذي نشأ عليه، مثلًا جوهر حياته وثمرة نضاله نحو تحقيق الحرية اللاهوتية التي كان يؤمن بها، ويشعر أن عليه القيام بتلك المهمة الموكلة إليه وحده.

حلَّت العاصفة عليهم، ولم يربطوا جميع شرائع النجاة، فقد كانت واحدة في الشرق والأخرى في الغرب غير منتظمتين تحملهن سارية كبيرة، تعالت الأمواج وأصبحت تضرب مقدمة وجوانب سفينة الحوت بقوةٍ كبيرة، شدة الارتطام جعلت الخوف يتسرب إلى داخل قلوب طاقم السفينة، صرخ جاك بأعلى صوته:

- تمسكوا بجوانب السفينة، بقي القليل للوصول إلى شواطئ ساو باولو.

صرخ أحد المتدينين في القارب:
- لديّ أبناء لا تتركهم يارب، أنا أعبدك طيلة تلك السنين من دون أن أراك، ووعدتني أن تحفظ عهدك معي بإنقاذي لأخرج لعائلتي، أنا أطعمت قبل يومين طفلًا صغيرًا في ميناء لوس أنجلوس، أعطيته كل ما أملك لأدخل السعادة إلى قلبه.
بدأ الجميع بالدعاء والاعتراف، كانت ليلة سوداوية جسَّدت ضعف الإنسان أمام أتفه الأشياء، التزم إدوارد الصمت وأخذ يتأمل الأحداث التي وقعت وكيف علم بها قبل حدوثها، هل هذا هو المصير المحتوم الذي كان عليّ انتظاره طيلة تلك السنين؟! طالما كنت أهرب من الواقع وآتي إلى المحيط لأخفف عن نفسي، وفي الأخر حتى المحيط يغدر بي! إنها عدالة السماء يا إدوارد، نحن نموت في أكثر الأشياء التي نعشقها ونتمنى القرب منها، ليتني لم أقترب لذلك الحد ولم أثق بذلك القدر.
أدلجة الأفكار مرهونة بالذات، فلكل ذات بعدٌ وبعد آخر، يمكننا قياس عمق إحدى الأنهار أو البحار، لكن من الخطأ أن نعمم عمقًا واحدًا على كل البحار، لكل مسطح مائي على هذه الأرض خواص وظروف ساعدت بطريقة أو بأخرى وجود وبيان مدى اتساعه.

البحَّار الذي أفنى حياته يجوب المحيطات، سوف يأتي يوم ويغرق في داخل أكثر شيئًا كان يحبه، يجب عدم منح الأمان.
في منتصف العاصفة؛ بدأت السفينة بالتحطم، وقعت السارية وأصابت قبطان السفينة الذي كان يتحكم في دفة القيادة برأسه؛ تسرب الظلام وابتعدت الأصوات، لم أشعر بشيء سوى أن أحدهم منحني عناقًا ساخنًا في عمق المحيط، وجدت ذلك الأمان الذي عجزت عن إيجاده في أي مكان آخر لم يكن بقرب أحد، كان في عمق الظلام، الظلام الذي نعيشه على اليابسة كان مجرد كوابيس تخلقها الذوات، قال لي أحدهم:
- عليك أن تكفر ذلك الذنب العظيم.

الفصل الأول

استفاق إدوارد من نومه ببطء على صوتٍ غير مألوف، كان هناك من يقرع الباب، وبعينين نصف مغلقتين تخبَّط في داخل الغرفة باحثًا عن مصباح الغرفة الموجود بقرب الباب، ليجد نفسه في غرفة فاخرة: أين أنا بحق الجحيم؟!

نظر إلى الطاولة وجد فيها شعارًا يحمل اسم فندق مكتوب فيها (ذا بيلتمور مافير) رنَّ الهاتف رنةً خفيفة:

- الو؟

- نعم، من معي؟

- أسف سيدي، أعتذر على إزعاجك في هذا الوقت، أنا موظف الاستقبال، هناك امرأة ترغب برؤيتك.

بدأ النعاس يتجلى، نظر إلى الساعة (١٢:٥١ صباحًا)، كان يخشى أنها من الأشخاص الذين يقفون بالضد من أفكاره، فأخبره بلطف:

- اخبرها أن تترك رقم هاتفها، سوف أتصل بها صباحًا، أنا الآن متعبٌ جدًا.

شعر بالخوف بسبب تنامي التيار اللاهوتي المتطرف على التيار العلماني، بالرغم من أنه شخص يقدس اللاهوت ومتخصص فيه، لكن يرى أن الخلاص لا يمكن في استعمال اللاهوت كأداة لتحقيق الأهداف المادية؛ فكل الأهداف المادية هي خاطئة وتدنس قداسة التدين وفق اعتقاد إدوارد، فلا يمكن أن يرتقي العلم الإنساني إلى مستوى العالم الإلهي. إن السمو المادي مهما تغلف بزيف الحقائق يخّل في الشرائع اللاهوتية التي وضعت وفق المشيئة اللاهوتية، فاللاهوت والسياسة لا يجتمعان إطلاقًا، وأن اجتمعا سوف يطغى أحدهم على الآخر.

فقد عمل إدوارد أستاذًا في جامعة مينيسوتا في مدينة مينيابوليس في علم اللاهوت والفلسفة في العام (١٩٤٢م)، تأثر بالمادية النقدية التي تحكم الفلسفة الألمانية السائدة آنذاك، رغب في عدم إدخال أبنائه في تخصصه نفسه؛ للتناقضات التي عاشها.

الحقيقة والوهم نحن من يحددهما من خلال الأحداث، إذ نقبل العديد من الأوهام بهدف إرضاء غرائزنا؛ بالرغم من إننا نعلم أنها عبارة عن وهم متجذر في داخلنا، تأخذ الحقائق طرقًا ملتوية لتحقيق أهدافها ممزوجة بالوهم المادي، حقيقة ساخرة كاذبة أقولها مرةً أخرى الصدق والكذب حقيقتان لا يمكن نكرانهما،

لكن أيهما أكثر أحقية في الوجود؟ هو السؤال الأهم، فالصدق لدى أحدهم هو الكذب من نوع آخر للأخر.

علَّم إدوارد ولده مارتن:

- أن تكون صادقًا مع نفسك هو أثمن الأشياء التي ممكن أن تحققها في هذا الوجود، فقد تكون شخصًا آخر؛ الهدف من وجودك هو تحقيق أهداف الآخرين.

لم يعلم إدوارد أن هذا الدرس سوف يندم عليه كثيرًا، أخبر مارتن أباه:

- إذا كان الصدق والحقيقة والكذب والوهم هم شيء واحد، فمن نتبع يا أبي؟

قال له:

- اتبع شقيقك الوحيد جايكوب ولا تترك يده، وإياك أن تجعل منه شخصًا مهزومًا، كن معه وليس عليه وأن كان على حساب ذاتك.

- عذراً يا أبي، أنا لم أفهم شيئًا.

- سوف يأتي اليوم الذي تفهم فيه كل شيء، فهم الأشياء يأتي متأخرًا يا ولدي بعد أن ندفع ثمنًا باهظًا لقراراتنا التي اتخذناها في حياتنا، ففينا من يحيا لينسى وهناك من يقاتل ليصمد، والبعض

منا يفارق الحياة، الجميع يموت، لكن طريقة موت كلٌ منا مختلفة عن الآخر.

قاطع موظف الاستقبال أفكار إدوارد:

- ولكن يا سيدي هي مصرة على مقابلتك الآن؛ تقول أن هناك أمرًا مهمًا يجب أن تطلعك عليه.

ردَّ متاوهًا جالسًا على السرير بالكاد يفتح عينيه، تركزت عيناه على بطاقة وضعت على الطاولة قرب المصباح الذي يقع بالقرب من سريره.

جامعة لندن في بريطانيا

تتشرف بتقديم

محاضرات إدوارد داروين

أستاذ في علم اللاهوت والفلسفة

- لا أستطيع أن أقابلها الآن؛ فأنا لم أنم سوى ساعتين، ولديَّ محاضرة يجب أن أقوم بإلقائها.

إذ تجسد التأثير الأكبر عندما التقى زوجته كاثي الأستاذة في علم النفس في جامعة لندن بعدما ألقى محاضرة موسومة بعنوان **(التأطير الفلسفي للاهوت)**، تناول فيها الأبعاد الفلسفية التي تحكم التوجهات الدينية، مبرر فيها شرعية اليهود في الحصول

على مستحقاتهم المادية والمعنوية في عالم تحكمه فلسفة تراجيدية تشرع وفق الأسس المادية، وأثناء الحديث في خضم المحاضرة كانت هناك مداخلات من الحضور تعقيبًا على ما تحدث به إدوارد، حيث قالت كاثي وليامز البالغة من العمر تسعة وعشرين عامًا:

- لا يمكن للمادية النقدية أن تحكم أسس فلسفية لاهوتية، وخاصة أن اللاهوت يرتكز على رؤى طوباوية لا تتسم بقبول المادية في أغلب الأحيان، فكيف لعوامل طوباوية غير مادية تكون وقائع مادية حتمية؟

ردَّ إدوارد بشغف وكأنه كان ينتظر هذا السؤال منذ زمن، قائلًا:

- إن الأسس المادية تنطلق من الأبعاد المعنوية، فلا يمكن أن يكون لأي أساس قائم بذاته متجرد من الركن المعنوي الذي ينبثق منه، حتى اللاهوت هو ركن معنوي طوباوي في بعض الأحيان، لكن أساسه مادي...

وأشار بيده إلى لوحةٍ ملعقة في القاعة يوجد فيها رسم صلب يسوع، خيَّم الصمت بين الحضور على طريقة رد إدوارد على كاثي، ليأتي صوت من وسط الحضور قائلًا:

- هل كان صلب يسوع فعلًا معنويًا؟

- بحقك يا إدوارد، أن الصلب والسواط الذي أُستخدم ماديًا، وأن كان الألم معنويًا فأنه وجد بسبب أفعال مادية...

ليقف وسط الحضور مستهزئًا:

- دعني أضربك بهذا اللوح المعدني بعد انتزاعه من أمام مقعدي لنرى هل هو مادي أم معنوي؟

ضحك الحضور على النقد الساخر، صفَّق له إدوارد بحرارة وكأنه يرغب في احتواء الموقف قائلًا:

- لم تكن مشكلتنا في الأصل عما إذا كان الصلب ماديًا أو معنويًا، إنما كان الرد بهدف بيان أن الرؤية الدينية المسيحية تقوم على فكرة صلب يسوع، هذا الصلب هو مادي لكن التأثير المادي ذو وقت محدود، في حين على العكس من الأثر المعنوي.

اليوم نحن نجلس في قاعة مناقشة وسط الحرم الجامعي لجامعة لندن نستذكر سعي يسوع نحو تحقيق الخلاص المسيحي، حتى أنت كإنسان وجودك في هذا العالم مادي، لكن هذه المداخلة التي تقدمت بها (في صباح ١ من مايو ١٩٤٣م) سوف يكون لها أثرٌ معنوٍ خالد، سوف تذكره الأجيال القادمة.

بعد انتهاء الجلسة الأولى من المؤتمر ذهب جميع الأعضاء المشاركين والحضور لتناول وجبة الغداء في تمام الساعة الثانية بعد الظهر إلى مطعم داخل الحرم الجامعي، كان مخصصًا للحضور، طلب إدوارد من المضيف أن يقدم له قائمة بطعام تحتوي على لحم خنزير ولحم أرنب وغيرها من الاطعمة، حيث قال إدوارد أن هذه الأطعمة ليست من ضمن "الكوشر".

وأثناء تناول الطعام أتى مضيف المطعم يحمل بيده ورقة بيضاء سلمها لإدوارد قائلًا:

- إن ذلك الرجل الذي يجلس وحيدًا في الرواق الذي يقابل المطعم طلب منه ذلك.

للوهلة الأولى لم يبدِ إدوارد أي اهتمام له أو حتى للرسالة التي أتت إليه، لكن بعد النظر إليه بدأ يتأمل هيئة هذا الشخص، كانت تدل هيئته إنه شخصٌ مرموق، لكن ما أثار حفيظته أن الشخص كان يلبس ملابسًا سوداء مرتديًا قبعة وقفازات باللون ذاته، وكان وجهه شاحبًا، مستمتعًا بتهاطل الأمطار، لم يكمل طعامه وقام بفتح الورقة ليجد مكتوبًا عليها (الذات الإنسانية هي جزء من الذات الإلهية، فكيف للإلهة أن تكون جزءًا من نفسها؟!) فإذا كان الناسوت مادي فأن تأثير اللاهوت مرهون في

القوة التجريبية؟ ومن أوجد هذه القوة؟ وكيف كانت قبل الوجود المادي؟ وما هي الأدلة التي تؤكد وجود أبعاد كهذه؟! نظر إدوارد إليه ليبادله بابتسامة مليئة بالغرابة ولوح بيده مودعًا إدوارد الذي أصبحت آلاف الأفكار تتدفق إلى مخيلته.

غرق إدوارد في التفكير بتلك الرسالة ومن هو هذا الشخص ولماذا لم يأتِ بنفسه؟! ولماذا رحل؟ وفي هذه الأثناء جلست كاثي في الطاولة نفسها التي يجلس عليها إدوارد، قالت له:

- ما بالك؟ لقد طلبت منك الجلوس أكثر من مرة، لكنك لم ترد عليّ!

جلسا وبدءا يتناولان أطراف الحديث، قالت له:

- كم يبلغ عمرك؟

فأجابها:

- اثنا وثلاثون عامًا.

ضحكت كاثني قائلة:

- أنت تكبرني بثلاثة أعوام فقط.

الفصل الثاني

وبدأ يسألها:

- من أين أنتِ؟ ومن هم عائلتكِ؟

فأجابت إنها ولدت في إحدى ضواحي امستردام، وانتقلت عائلتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في العام (١٩٢٩م) في مدينة واشنطن، والدها أمريكي الأصل وضابط متقاعد في وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) توفي في سنة (١٩٣٩م) بسبب نوبة قلبية، أما والدتها صوفيا فهي كانت تعمل راهبة في كنيسة مدينة فيرزون في فرنسا، لم تكن مولعة بالعلم، فقد كسبت كاثي حبها للعلم من والدها الذي كان يحب المطالعة، حيث كان والدها ينتمي للتيار اليساري اليهودي، أما والدتها فقد كانت مواقفها متباينة وخاصة أنّها تنتمي إلى الطائفة البروتستانتِة، وهي الان من تتكفل برعاية والدتها.

أما إدوارد فقد شعر بالارتياح تجاه كاثي وشاطرها أطراف الحديث، بأنه انتقل إلى مدينة مينيابوليس عندما كان عمره أحد عشر عامًا بعدما كان يقطن في إحدى ضواحي ميونخ في ألمانيا، لديه شقيقتان هما (بريديجت وماريا) وهو الأخ الأكبر

في العائلة، تعيش شقيقتاه مع والدته سالومي، ووالده يمتلك مصرفًا في واشنطن.

نظرت كاثي إلى الساعة (٢:٢٥ مساءً) نهضت مسرعة قائلة أن دورها قد بدأ في إلقاء المحاضرة، ذهب يتبعها إدوارد ومازال يفكر بتلك الرسالة التي وصلت إليه، إذ ازداد الأمر غرابة بعد لقائه كاثي والأحداث تحدث بطريقة مريبة، دخل قاعة المناقشة وجلس في منتصف الحضور يناظر كاثي من بعيد وهي على وشك بداية إلقاء محاضرتها، قالت كلمتها التي لا زالت عالقة في ذهن إدوارد إلى الآن:

- نحن لا نعلم من نكون، فكيف نعلم حدوث الأشياء التي لم تحدث؟!

كان عنوان محاضرتها **(الأسس النقدية للتأثير السيكولوجي اللاهوتي)**

قالت:

- نحن نحيا في سبيل تحقيق الهدف المنشود بغض النظر عما كان هذا الهدف واقعي أم خيالي، تحكمنا أبعاد غير مادية، اختيارنا لها يكون خارج إرادتنا، فإذا كان الرب يحبنا باختلاف الشعوب والأعراق والطوائف؛ لماذا لم يوجد لنا دين شامل ورؤية

متكاملة تدفعنا نحو الكمال والازدهار والتطور، بدلًا من النزول إلى الدونية كما فعلت النازية؟ لماذا نقتل بعضنا البعض لأسباب تافهة؟ أن ما يحركنا نحو الأمام ليس اللاهوت إنما الغريزة البشرية القائمة على ديالكتيك الخير والشر هي التي تفرض سيطرتها علينا.

البعض يقاتل من أجل مجد زائل طوي في صفحات التاريخ قائم على بؤس الشعوب الأخرى بأنه أفضل من غيره، وله الأحقية في الهيمنة على العالم، أن السيطرة والقوة بحد ذاتها هي ليست مادية، بل هي معنوية تقبع في الداخل، حيث الإرادة التي تمنحنا القدرة على التحكم في تحقيق طموحنا.

اتكأ إدوارد: وطرح سؤالًا:

- من الأحق بالوجود من يعمل أم من يبقى بلا عمل ويجلس ينتظر غيره أن يحقق ما يرغب به؟

كاثي:

- بالتأكيد من يعمل.

إدوارد أجاب:

- أن سيكولوجية الوقائع الحتمية تدفعنا دائمًا إلى الذهاب إلى أعمق من ذلك يا كاثي، فلكل واقعة مبررات قد ترينها من

جانبكِ غير منطقية ويجب ألا تحدث، لكن ذلك الأمر يتبع البيئة التي ينشأ فيها الفرد؛ إذ يمكن أن يكون الشر هو سبيل الحياة بدلًا من الخير، وخاصة أن الفكر ينم عن الاعتقاد، والاعتقاد يعد بمثابة محرك للإيمان الذي يدفعنا نحو تحقيق أهدافنا، الغاية أن نحقق الخير؛ لكن الوسائل هنا مباحة، فقد تكون غايتنا تحقيق الخير لأمة معينة لكن الوسيلة تكون شريرة، فهل نحن نكون أشرارًا؟

قال الرجل المجهول الذي ناقش إدوارد:

- الخير والشر صفتان لا تلتقيان، فإذا كان الخير لك والشر لي، والشر لك والخير لي، إذن أنت نقضت الخير برمته وحملت الشر كله، فكيف أمة تقوم وتنهض على ركام أمةٍ أخرى؟

تمتم إدوارد بكلماتٍ لم تكن مفهومة، قال الرجل المجهول:

- الخير ما يحقق الكسب للجميع بأقل الأضرار عبر السعي إحياء الإنسانية بين الأمم ونشر مشاعر الأخوة العالمية.

ابتسم إدوارد قائلًا:

- فعلًا أصبت، لكن من يقدر ذلك؟

أكملت كاثي قائلة:

- إن سيكولوجية اللاهوت قائمة على الإيمان بغيبيات يمكن أن تحدث وممكن أن لا تتحدث، ومن الخطأ التسليم بكل تلك الظواهر التي قد تأخذ منا الشيء الكثير، من الخطأ إثارة عواطف العالم تجاه قضية من جانب دون تناول الجوانب الأخرى، فهذا وإن كان إيمانًا فأنه إيمان مشوه يشوبه الخطأ ويكتنفه الغموض، الذي يجذب الانتباه تجاه الأفكار المغلوطة، بهدف الترويج لها وإظهارها بأنها الأكثر مصداقية من غيرها.

انتهت فاعلية المؤتمر في الساعة التاسعة ليلًا في لندن ويجب عليه العودة صباحًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأثناء الخروج التقى بكاثي وأشادت بمداخلاته، لكنها سألته:

- من هذا الذي تدخل أثناء النقاش؟

قال لها:

- أعتقد أنه من أصدقاء السلام.

وفي طريق ذهابه إلى الفندق عرضت عليه كاثي تناول العشاء معًا، لكنه رفض بحجة أنه يشعر بالتعب.

دخل إدوارد غرفة الفندق، أنار الإضاءة، اقترب من شرفة الغرفة التي تطل على الحدائق الملكية، انشغل إدوارد بالأجواء الجميلة وبدأ يفكر في كلام ذلك الشخص في المطعم، عندما كتب له

(الذات الإنسانية هي جزء الإلهية فكيف يكون الإله جزء من نفسه)

قاطع لحظة الصمت شخصٌ طرق باب الغرفة، كان ضخم البنية وتبدو عليه البدانة، قال له:

- هناك شخص يرغب برؤيتك، يقول إنه صديق لك.

بدأت التساؤلات تأخذ عقل إدوارد من يكون يا ترى وهل هو ذلك الشخص؟! قال للمضيف:

- قل له سوف آتي إليه حالًا.

همَّ بالنزول ليجد شخصًا آخر لا يعرفه، ليردد في نفسه: كيف يقول صديقي وأنا لا أعرفه؟ ألقى التحية عليه، ثم قال له:

- ماذا تريد؟ لقد طلبت من عندي الحضور.

قال:

- آسف، أنا أُدعى توماس، وبالتأكيد لا تعرفني، لكنني تظاهرت بمعرفتك؛ لأن أحدهم بعثني لا أعطيك هذه الرسالة، فأنت من أصدقاء السلام.

ثم رحل بعد إعطاء إدوارد الرسالة دون الإجابة على أي سؤال.

الفصل الثالث

أخذ الرسالة وذهب إلى الغرفة وجلس على شرفة، وأشعل سيجارة فاخرة، وبقربه كوب قهوة نوع الإسبريسو، وقبل قراءة نص الرسالة نظر إلى الحديقة الملكية ليجد شخصًا كان ينظر إليه والتقى بالشخص نفسه الذي سلَّم له الرسالة، وبعدها تأكد من وصول الرسالة، ومن ثم رحل وتوارى عن الأنظار، الأحداث المبهمة خلقت نوعًا من الخوف في داخل إدوارد، فتح الرسالة وجد فيها عبارة:

(وأن لم نكن مع بعض، وأن لم تعرفني، فنحن أصدقاء السلام)

أصاب إدوارد الأرق ولم ينم، جلس يتأمل ما يحدث بروية، هل يعقل أن أكون أنا الشخص المختار؟ لماذا أنا؟ لِمَ لم يكن أحد غيري؟ ما الذي يميزني عن الآخرين؟! لست الأذكى، ولست الأفضل، قد أكون أنا الأسوأ، هل يعقل أن تتحقق النبوءة التي قال عنها جدي ريتشارد، بأنني سوف أغدو حاملًا للحلم اللاهوتي؟ إنها مجرد تخيلات ووهم بدأ يسيطر على عقلي، أنا وأصدقاء السلام لا نلتقي بالأفكار، أصدقاء السلام يدعون السلام وهم يمزجون اللاهوت في السياسة، وأنا أبغض ذلك

جدًا، كيف لي أن أذهب مع فئة تفسر التناخ وفق هواها؟ إذن لماذا يحدث ذلك؟ تلك النظرة التي رمقني بها ووجهة الشاحب، تجعلني أفكر بأشياء كثيرة جدًا؟ اهدأ يا رجل فقد بزغ نور الفجر، عليك أن تستعد للعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فهناك عملٌ ينتظرك فيها... عقلي وشأني دعني قليلًا!

مرت عدة أيام...

رن جرس الهاتف بهدوء بدأ إدوارد يتخبط ليصل إلى الهاتف في الغرفة المظلمة بجوار السرير، رد على الاتصال:

- من معي؟

- مرحبًا إدوارد أنا كاثي، هل عرفتني؟

- مرحبًا، عرفتكِ.

كاثي:

- أظن إنك نسيتني ولم تتصل بي ولم تتواصل معي منذ ذلك الغداء.

إدوارد:

- اللعنة نسيت الأمر برمته!

- دعنا نلتقي يوم غد في مقهى بلاك كوفي في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر، لدي بعض الطروحات الجديدة أرغب في مناقشتها معك.

ومن ثم انقطع الاتصال، استلقى إدوارد على السرير متسائلًا: يا ترى ماذا تريد كاثي؟ ولماذا أنا من يناقش اطروحاتها؟!

عقلي... يا رجل قابلها لن تخسر شيئًا، قد تكون هي الشخص المناسب لك، يجب أن لا تبالغ في الأمر، هي فتاة جميلة ومثقفة وعزباء وتحمل أفكار متقاربة من أفكاري، وأنا أيضًا شخصٌ عازب.

التقى إدوارد بكاثي في الموعد المحدد، إدوارد:

- مرحبًا كاثي، أعتذر عن التأخير، بسبب زحمة الطرق.

- لا عليك، يحدث معي في بعض الأحيان.

جلسا قليلًا، سأل إدوارد:

- ما هي طروحاتكِ التي أخبرتني سوف تناقشينها معي كاثي؟

- هل لي بسؤالك قبل أي شيء؟

- نعم، تفضلي.

- ماهية الشيء نفسه.

- عفوًا!

- عرِّف الشيء

- لا يمكن تعريف المطلق بالنسبية، وإذا عُرِّف مثل هذا التعريف؛ سيحدث خلل في مواضيع القياس التي تستخدم في دراسة الأحداث، فلا يمكننا تعريف الأحداث المتلاحقة بأنها حدثٌ واحد، مثلاً أنا وأنتِ شخصان لنا خواص فيزيائية مختلفة (ذكر وأنثى) فهل يعقل أن نطلق على شخصين مختلفين، وأن كان وجودهم يعتمد على عملية واحدة لفظ مجموعة؟ هنا التشخيص خاطئ في الأصل.

- إذن الوقائع السيكولوجية هي المتحكم في الوجود المادي.

- تبعاً للأحداث نفسها؛ فقد تكون متحكمة تارة وغير متحكمة تارةً أخرى؟ اللاهوت عنصر غير مادي يرتبط ارتباطًا فعليًا بالوقائع المادية، وأن اختلف من حيث المضمون فأن الدوافع التي تدفع أي شخص لاتخاذ أي قرار يتداخل مع اللاهوت، فأن اللاهوت يؤثر بطريقة مباشرة على قرارات الأشخاص مهما كان توجههم، وفي حال تعارض ذلك مع الوقائع، فأن الاعتقاد بالثوابت هو الحافز الرئيسي للقبول بالوقائع أي كانت هيئتها. القضية التي يؤمن بها العالم هو حق الشعوب في تقرير المصير، لكن في بعض الأحيان الإيمان لا يكفي يا كاثي، تحتاج إلى وجود قوى

أخرى مساندة لهذا الإيمان، فقد تأتي الحقيقة الكاذبة محل الصدق لتحقيق الأطماع السياسية.

تجسد في تسيس الدين لخدمة السياسة، إذ يصبح الدين وعاءً للسياسة التي تنتقل من خلاله لتحقيق الأهداف، حتى صلب يسوع أُستخدم لأغراض سياسية، قامت رابطة أصدقاء السلام بتزييف الحقائق، وأن كانت تلك الحقائق مزيفة للأغلب، إلا أنني أومن فيها إيمانًا مطلقًا؛ لأن الإيمان يجب أن يحقق عوائدًا مادية.

سوف يأتي رجلٌ على صهوة حصانه يحقق الخلاص لكلا الأمتين، هكذا تقول النبوءة، فهل يمكن أن نجلس مكتوفي الأيدي، أم نعمل على تحقيق ذلك؟ وإن لم يتحقق يجب أن نسعى إلى تزييف تلك الخديعة لتأخذ حيزًا قانونيًا يصدق ويفند ادعاءاتنا. القوة عامل مهم في معرفة الأشياء وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا، لكن ما هو أهم أن المعرفة أعمق من القوة وأكثر تأثيرًا، فأن الأعداء لا يهابون السلاح بقدر العلم، يجب ضرب مواطن إيمان الأعداء من أجل زعزعة ثقتهم، هنا يكمن العنصر المعنوي. كاثي:

- إجابة مقنعة، لكن من الممكن أن يكون الشيء بعيدًا عن الفلسفة، هو ما ترغب أنت كفرد أو أمة في تحقيقه، وتسعى دائمًا إليه، وتجعل من التفسير اللاهوتي حجةً لك لتحقيق الأهداف التي ترمي إليها، فأن يكون هدفي وحدي صعب جدًا تحقيقه؛ إذن يفترض بي أن أجعل من هدفي هدف شخص آخر بطريقةٍ أو أخرى، هكذا سيكون من السهل عليّ أن أحققه.

الفصل الرابع

صمت إدوارد قليلًا:

- إذن يجب علينا أن نقنع أكبر عددًا بأفكارنا ونجعل منها الملاذ الأمن لهم، لغرض تحقيق طموحنا، إن عملية احتواء الجميع في وعاء الفكر ليست مسألة مستحيلة، لكنها بالغة الصعوبة وتمنح نتائجًا أفضل من غيرها من الأدوات التي يستخدمها القادة في الحرب.

عندما جرى حرق أبناء الجماعة السامية؛ صمت العالم وكان بمثابة وصمة عار في جبين الإنسانية التي طالما تغنى بها الغرب، وحتى أبناء الجنس الواحد الذين يدافعون عن القضية نفسها التي أدافع أنا عنها ويقاتلون معي، هم جميعًا جبناء؛ فلكل فعل غير معنوي له أبعاد مادية، ماذا لو وقف نصف هؤلاء أمام الجنس الجرماني؟ هل سيحدث ما حدث؟ وإذا عدنا إلى التاريخ ففي العصور الوسطى فعل الإسبان الأمر نفسه.

الانقطاع المعنوي يخلق تخبط في المخرجات المادية التي تحكم الوقائع السياسية، الرب لا يخلق الإنسان ضعيفًا، الضعف هو النقطة الأعمق في ضمير الأشرار، غلف الضعف بغطاء من

القوة المزيف، الوهم طغى على الحقيقة المادية المعلومة، دائمًا الضعف يمثل الماهية في حين تكون القوة هي الوجود، الوجود كتأصيل زمني مبهم لا يمكن البَتّ في معالم بيانه، في حين الضعف يمثل خصائص هذا الوجود المترامي الأبعاد الذي قد يتمثل في شخص ما، فلا يمكن للأخيار أن يقعوا في خطيئة الضعف وفق الرؤى اللاهوتية؛ لأن مواطن القوة تكمن في الصيرورة الزمنية وما يترتب عليها من التغيرات التي تحدث وفق تأثير معامل الزمكان، عبر التغيير المدرك والغير مدرك والمعلن وغير المعلن، إذن حق عليهم وعلينا الدينونة. أخشى أن يعاد الأمر مرة أخرى ونرى الجميع يفرون إلى الديسابروا ، عالقين في أرض الشتات، كل فئة تدعو إلى الخير والسلام وهم عاجزون.

في يومٍ من الأيام استيقظت على صوت ساعي البريد يطرق الباب، نهضت وفتحت له الباب وكانت ملامح السعادة تبدو واضحة عليه، فقلت له:

- ما الذي يجعلك تبتسم هكذا؟

قال لي:

- أخبرك شيئًا جميلًا؟

قلت:

- نعم
قال:
- بدأت الحرب تميل لكفتنا، وأخيرًا سوف نتخلص من كل ذلك، لقد ألمني بشدة رؤية الشباب اليافعين يسيرون لتحقيق الأحلام والأمجاد المزيفة التي تزهق أرواحهم من دون فائدة تذكر.
ها قد أثبت يا كاثي ساعي البريد الشيء وحدده بنفسه بأنه جميل ونقيضة قبيح، سؤالكِ كان ذا آفاقٍ غير معلومة، الجمال يخرج منه القبح والقبح نتاج للجمال.
كاثي:
- هذا ما كنت أحتاج إليه يا إدوارد، حقًا أنت شخصٌ رائع، أتمنى أن نلتقي مرةً أخرى.
خرجا من المقهى بعد جلسة استغرقت أربع ساعات، كل شخص يحمل انطباعًا جيدًا عن الآخر، وأثناء السير في طرقات واشنطن، ركب إدوارد عربة تاكسي طوال أربع ساعات أخرى، وصل إلى جادة منهاتن، قرر أن يتمشى في شوارعها قليلًا قبل أن يذهب إلى الفندق الذي سيمكث فيه الليلة، وصل بالقرب من حدائق سنترال بارك.

سمع صوت أحدهم يقول له:
- أيها الغريب، اهرب من أرض الشياطين، السلام لا يمكن أن يعم في هذه الأرجاء، اذهب إلى المكان المقرر لك أن تذهب إليه، المكان الذي ولدت من أجله، إلى الأرض البهية.
قال إدوارد له:
- من أنت؟
ردَّ عليه:
- أنا صانع السلام
لم يرَ ملامحه؛ لتأخر ساعة الليل وملابسه السوداء، حتى إنه كان يرتدي قفازاتٍ سوداء، لماذا أنا؟! لِمَ عليَّ أن أذهب، أنا شخص عادي، لِمَ كل ذلك يحدث؟
- هه هه هه هه ... أ لم تقرأ ما كتب لك في لندن، ألم تصلك الرسائل، أنت لم تُخلق لذلك، يجب أن تذهب الجميع يعتمد عليك وحدك، يجب أن تجمع العالمين المتضادين مع بعض لتحقيق الخلاص
أنت المختار
أنت المختار
سوف يأتي يوم وتحكمنا، وإياك إن تنسى نبوءة ريتشارد.

ومن ثم رحل وتوارى عن الأنظار، جلس إدوارد على إحدى مقاعد الحديقة ويردد: ريتشارد جدي! يا للهول ماذا يحدث؟! تلك الدماء الزكية سوف تُسفك، لازالت صرخاتهم عالقة في ذهني، الأمر لا يستحق كل ذلك.

ومن ثم ذهب إلى المنزل تاركًا فكرة الجلوس في الفندق، يرغب فقط في الخروج من المدينة لعله يجد تفسيرًا منطقيًا لما حدث معه، وبعد مرور عدة ساعات وصل إلى المنزل منهكًا قبل بداية العام الدراسي بأسبوع، انشغل طوال العام في مهمة بالتدريس مع تواصل ما بين الحين والآخر مع كاثي ليرتب موعد لقاءٍ معها في شهر سبتمبر من العام (١٩٤٤م)، في حانة مقهى جانتِ كوفي، حيث اعترف بأنه معجب بها، وهي اعترفت بذلك، ليحددا الأول من فبراير من العام (١٩٤٥م) موعدًا للزواج، لكن قبل كل شيء أن إدوارد لم يقابل عائلة كاثي، حددت كاثي موعد مع والدها وليامز موعد لمقابلة إدوارد في (١٧ من فبراير ١٩٤٥) في تمام الساعة الثامنة ليلًا. عاد إدوارد من الجامعة مبكرًا في الساعة السادسة ليلًا قبل الموعد في يوم من أجل لقاء عائلة كاثي.

في اليوم التالي وصل إدوارد إلى منزل كاثي، كانت متفاجئة حيث إنها تسكن في ضاحية ماكلين وهي من أرقى ضواحي واشنطن، بالرغم من أن والدتها متوفية منذ ستة أعوام.
غريب جدًا دخل إلى المنزل وألقى التحية على امرأة كانت تجلس على الأريكة في وسط غرفة الاستقبال الكبيرة التي تتسع لخمسين شخص
- أمي، هذا إدوارد الذي حدثتكِ عنه، إدوارد هذه والدتي صوفي.
لم يكن إدوارد مرتاحًا، فقد كانت نظرة الخدم والحراس إليه نفس نظرة ذلك الشخص في لندن، للوهلة الأولى شعر أنهم شخص واحد، كانت هناك لوحة وضعت على جدران غرفة الاستقبال رُسم فيها غصن ويقف عليه طائر وفي فم الطائر غصنٌ صغير، شدت انتباه إدوارد، ولوحات تدل على السلام، لكن ما لفت الانتباه لوحة فيها مثلث ووسطه عين وكأنها لوحة ثلاثية الأبعاد، دخل أحد الحراس إلى السيدة صوفيا همس في أذنيها في أمرٍ ما دون أن يحدث جلبة، وبعد الحديث الذي دار بينهما خرج، لكن لاحظ إدوارد وشمًا على يد الحارس، كانت تحمل شعار النجمة الخماسية، لم يبدِ للأمر أي اهتمام وأتم الاتفاق على موعد الزواج وخرج.

الفصل الخامس

قبل وصوله إلى الباب لاحظ تمثال يشبه لحد كبير صموئيل كوهين، ركب التاكسي من أمام قصر كاثي، وتعتري إدوارد السعادة والغرابة في آنٍ واحد، سعيد جدًا لأنه وجد الشخص المناسب، لكن في الوقت نفسه يشعر أن كل ما يحدث وما يراه له تفسير في الأزمنة العتيدة.

ففي بعض الأحيان تأخذنا الحياة إلى سلك طرق وممرات من غير إرادتنا، لا نعلم ما يحدث وما حدث، لكننا نمضي فيها على هامش الأمل نجوب الطرقات، الدهاليز المظلمة لا تعتريها العتمة إطلاقًا، النور لا يكمن في الضوء الساطع، فقد توضع المصابيح في الطرقات لإشاعة الظلام، الظلام كامن في صيرورة النفس البشرية، الضوضاء باتت غريبة ولا تمنح ما كان مأمولًا منها.

جلد الذات هو الحل الأفضل للتخلص من كل تلك الكوابيس المقيتة، لم أكن أتخيل أن الإنسان بمقدوره أن يحلم وهو مستيقظ، الحالمون لا يصنعون المجد، الكفاح والقتال والشجاعة تمثل مراتب المجد، كل تلك المسميات هي عبارة عن وهن وكذبة لنكمل الحياة مع زمرة الأشرار، ممن يدعون

السلام، أنا لا أعلم من هم، لكن أشعر بأنهم لا يلتقون مع الخير مهما التقت الطرقات وتجمعت.

كيف لشخصٍ أن يُكذِّب ذاته ويتخذ من العقلانية معيارًا؟! هل تكذب الأحاسيس، وأن كذبت ما هي المبررات؟!

مرت الأيام... تزوج إدوارد من كاثي، قرر العيش معها في واشنطن، وانتقل من جامعة مينيسوتا إلى جامعة منهاتن؛ لقرب مسافتها لمنزله الجديد، بعد عام واحد رُزقت كاثي بمولود أسمته (مارتن) ذي شعر بني وبشرة تميل إلى السُمرة، يمتلك عينين زرقاوين، في مستشفى ميدستار في واشنطن، حيث كان مدير المستشفى روبرت أول المهنئين لإدوارد، سأل إدوارد نفسه لماذا يهتم مدير المشفى بي؟! وأثناء حديث إدوارد وروبرت وصوفيا جدة مارتن عن الظروف والبيئة المناسبة للفرد الجديد للعائلة. قاطعتهم إحدى موظفات الاستقبال تدعى كارمل:

- عفوًا سيدي؟

روبرت بلهجةٍ حادة:

- تفضلي، ماذا تريدين؟

- أعتذر سيدي، لكن أحدهم أوصل هذا الطرد إلى استعلامات المشفى وطلب تسليمها للسيد إدوارد.

- وأين ذهب؟
- سلَّم الطرد ورحل.
- كيف يُسلَم طرد نجهل فحواه ويرحل!
- أعتذر سيدي.
- اهدأ سيد روبرت لا عليك، سلميني الطرد؟
- عفوًا، تفضل سيدي.

إدوارد استلم الطرد وذهبت الموظفة، كانت هناك عبارة على الطرد بخطٍ واضح وصريح:

(مرحبًا إدوارد، لقد بدأ الأمر، لا مفر لك للخلاص)

وأرقام رياضية رُتبت بشكلٍ غير منتظم:

٧-١٠-٥-٨-٠-٧

لم يفهم إدوارد أي شيء من تلك الأرقام.

روبرت:

- هيا بنا إدوارد إلى غرفة الأمن؛ لنعلم من الذي سلَّم الطرد.

ذهبا إلى غرفة الأمن، نظر إدوارد إلى الشخص الذي سلَّم الطرد، لا يبدو من ملامحه أي شيء، كان يلبس بدلة سوداء مع سترى سوداء وقفازات سوداء، بالرغم من أن الجو كان معتدلًا ولا يتسم بالبرودة، اشتاط روبرت غضبًا: - كيف يدخل أحدهم إلى هنا

ولا نستطيع معرفة أي شيء عنه؟! هذا خطأ كبير ويجب على الجميع تحمله.

نحن هنا لسنا مؤتمنين على حياتنا فحسب، هناك حيوات أخرى يجب أن ننقذها من الموت في صالة العمليات، وأخرى نحافظ على أمن وسلامة الآخرين.

عاد إدوارد إلى صوفي ولم يبدِ أي تأثر، تكلما قليلاً، ثم أتى روبرت واعتذر من إدوارد ولاحظ إدوارد بسرعة أن هناك وشم أفعى على معصم يد روبرت.

الفصل السادس

علم أن أصدقاء السلام لن يدعوه وشأنه، بالرغم أن إدوارد لا يعلم من هم وكيف يعلمون به وماذا يريدون منه، لكن الأمر كان واضحًا وجليًا للعيان، إذ استنتج ذلك من المحاولات التي يحاولونها بين الحين والآخر للتواصل معه، لكن ما ينهش صدر إدوارد ويصيبه بالقلق لا يعلم لماذا إدوارد وماهي الأسباب؛ التي تدفعهم لفعل كل ذلك؟! وما هذه الأرقام التي وجدها على الطرد؟ وما علاقتها به؟ وأثناء نوم كاثي في غرفتها، تسرب الأرق إلى روح إدوارد وخرج إلى الحديقة، حيث تذكر الطرد ولا يعلم ما يحتوي عليه، عاد إلى الغرفة وأضاء الأنوار الخافتة من أجل عدم ازعاج كاثي وطفلهما الرضيع، ومن ثم تقدم ببطء إلى الدرج بقرب السرير، فتح الدرج وأخرج من عنده الظرف، وخرج من الغرفة وأطفأ الأنوار، جلس في حديقة المنزل، أتى إليه أحد الحرس يدعى ماثيوس:

- مرحبًا سيدي، هل تحتاج مساعدة؟

إدوارد:

- لا شكرًا، دعني أجلس قليلًا لوحدي.

تمتم ماثيوس بكلماتٍ غير مفهومة، فقال له إدوارد:

- ما بك؟

ماثيوس:

- آسف سيدي، كنت أعتقد أنك بحاجةٍ لأي شيء.

إدوارد:

- لا شكرًا، اذهب إلى عملك.

بدأ ينظر للطرد وبقربه كوبٌ من القهوة أمريكانو، فتح الطرد كان عبارة عن علبةٍ مسطحة، أخرج من داخلها تمثالًا وثنيًا يشبه التماثيل التي كانت تعبدها الأممية تشبه الآلهة المتعددة، تحمل هذه الفكرة في طياتها رؤية ميتافيزيقية تتعارض جدلًا مع الإله الأوحد الذي يؤمن فيه إدوارد، وبقربها قطعةٌ ورقية نُقش عليها تابوت. المطلق مباح في علم ما وراء الطبيعة، لكن فهمه يقتصر على المختصين، أذكر أن أحد أصدقائي يدعى ميشيل يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة أكسفورد مختص في علم ما وراء الطبيعة، يجب أن أتصل به، لكن الوقت متأخر الآن.

بدأت أبحث عن الرقم البريدي لميشيل للاتصال به، وأخيرًا وجدته في دفتر مذكراتي: هه هه هه ميشيل الأقرع.

نهض في اليوم التالي للذهاب إلى الجامعة لإلقاء محاضرة، كانت المحاضرة تخص العلاقة بين اللاهوت و السياسة، سأل أحد الطلاب جيمي جونسن:

- أستاذ إدوارد، ما هي درجة ارتباط العلاقة بين السياسة واللاهوت؟ وهل يمكن الفصل بينهما أو استغناء أحدهم عن الآخر؟

أجاب:

- العلاقة ما بين السياسة واللاهوت هي علاقة دينامية ترتبط بأسس وأبعاد مادية وغير مادية مختلفة، إذ يعد اللاهوت الأصل في حين أن السياسة تمثل الجذع، لكن لا يمكن استغناء الأصل عن الجذع؛ فقد يمثل الجذع المحرك الأساسي للكل المطلق للعلاقة، وممكن أن تكون علاقة تفاضلية وتكميلية في آنٍ واحد، البعض لا يمنح اللاهوت أهمية، وخاصة أصحاب التيار اللاديني؛ إذ يعتقدون أن الطبيعة أنشأت كل ذلك الخلق بفعل الصدفة الزمنية، هذا الأمر يتعارض مع السياسة التفضيلية، ففي الغالب يكون اللاهوت مكملًا للسياسة وليس العكس؛ لأن الفعل المادي يمتلك القدرة الأكبر على التأثير في الوقت الراهن، لكن التأثر يحتاج وقتًا أكبر، يكون خارج النطاق الزمني المعلوم،

وهذا الميدان يكون خارج فعل السياسة التجريبية، أما السياسة اللاهوتية يكون الحاجز الزمني فيها أعمق وأبعد.

تمثل عملية الفصل بينهما تبعًا للمواضيع التي تتناولها السياسة، الارتباط الفعلي قائم على أواصر وجودية، يجسد اللاهوت الوجود الفعلي للسياسة، في حين تعد السياسة هي خصائص هذا الوجود، إذ يأخذ طابعًا تدميريًا أو يأخذ طابعًا سلميًا. أدوات اللاهوت السياسي يحددها القساوسة والحاخامات وشيوخ الدين، فمنهم من يريد أن يحقق الأنا الذاتي لإرضاء الأنا الشخصي عبر تحقيق المصلحة الشخصية على حساب مصلحة العامة. في اللاهوت السياسي تكون الإرادة مسلوبة من الذوات مهما بلغ عددهم، تتقيد الحريات، هذا التقييد لا يكون بالإكراه، تقيد قهري بالتأثير السيكولوجي، إذ تصبح الحرية والمواطنة لا وجود لها، تباع الحرية بأشد الأثمان بُخسًا.

التأصيل الفكري لأي أمر قائم بذاته يستند على القداسة التي أصبحت تستند على الخطيئة المتأصلة في الوعي البشري، وفق أساليب خاطئة أخذت منحى تراجيدي، الصمت في كينونة الذوات يجسد أبعاد مبهمة للوعي الجمعي.

الحرية والمواطنة تشبه الاعتقاد والإيمان من حيثيات درجة التعاطي في تفسير المشاكلة المستعصية، إذ يعد الديالكتيك هو الحلقة المفرغة في محل الوجود الفعلي، يمكن من خلاله وضع تفسيرات نمطية خارج المألوف، تستند على تفسير اللاهوت السياسي عبر الاجتهاد المسيس لكينونة الذوات.

الفصل يعتمد على من يمارس هذه العملية، إذ يستطيع الحاكم أو الملك أو الرئيس أن يفصل بينهما، لكن العديد من رؤساء البلدان لا يفعلون ذلك، كل المناصب تكون عرضة للخطر في حال تهديد مناصبهم، سلطة البابا لم تكن مقيدة إطلاقًا فقد منحت امتيازاتٍ خيالية، ففي حال هددت موقعهم، سوف تصدر فتوى قتل بحقك... جيمي، للحقيقة ثمنٌ باهظٌ جدًا، يمكن للسياسة أن تستغني عن اللاهوت، لكن لا يمكن للاهوت أن يستغني عن السياسة، على سبيل المثال أنا أستاذ متخصص في علم اللاهوت، ففي حال وجودي أنا وحدي في هذا البلد متخصص بهذا الاختصاص، أستطيع الاستغناء عنكم، لكن في الأصل أنتم ليس بمقدوركم فعل ذلك إطلاقًا، وأن أتى أستاذ غيري لن يكون ضليعًا بذلك مثلما أفعل أنا.

بعد أن أنهى إدوارد المحاضرة عاد إلى المنزل، وأخرج رقم ميشيل واتصل عليه، فلم يجب عليه، مرت عدة دقائق وإذا بالهاتف يرن، أجاب إدوارد:

- الو؟.

أجاب:

- من معي؟

إدوارد:

- ميشيل؟

ميشيل:

- نعم، من معي؟

- ميشيل الأقرع؟

- هه هه هه ... نعم، أنت إدوارد أليس كذلك؟

- نعم أنا هو، كيف حالك ميشيل؟

بعد تبادل أطراف الحديث، قال إدوارد:

- ميشيل، أرغب بسؤالك عن أمرٍ ما.

- نعم، اسأل.

- هل المباح مطلق في علم ما وراء الطبيعة؟

- عندما نتحدث عما وراء الطبيعة، فأننا نتحدث عن المبهم والمطلق، ولا يمكن تحديد المباح من غير المباح، بمعنى أن المسألة الشرعية وغير الشرعية لا تتحد في طور ما وراء الطبيعة، العالم تحكمه قوانين مادية معلومة، وفق هذه القوانين يتم منح أي موضوع درجة من الإباحة والتحريم، إذ يعتقد دارون أن العالم والإنسان مروا بمراحل تطور معينة وفق تسلسل هرمي، هذا التسلسل له نهاية وبداية غير معلومة، فعندما يحاجج اللاديني أن في تفنيد الرؤى اللاهوتية يفتقر إلى أدلة دامغة تفند تلك الرؤى، استحالة تحديد المباح في علم ما وراء الطبيعة، لكن يمكن القول أن كل ما هو متعارف عليه هو غير مباح وكل ما هو مبهم مباح، فهذا العالم لا يمكن أن يحكمه إله محدد وفق اعتقاد الميتافيزيقيين، وأن الإنسان له من بني جنسه يعيشون في كواكب ومجرات أخرى سيأتي يوم ويصلون إلينا. فعند اختيار اللاهوت هنا يمكن أن يعتبر أن تحديدها يكون بهدف توظيف التسليم للمجهول والمبهم، وهذا التسليم بناء على رؤى أفراد، رُفعت مكانتهم مثل يسوع عند المسيحين، فأن الناقدين من الميتافيزيقيين يرون أن السمو الروحي لم يغير في واقع الخلق شيء، وأن كل خلق قائم على خلقٍ آخر، في حين أن المتدينين

من القساوسة يرفضون تلك النظرية ويتعقدون أن يسوع يكمن في كل الوجود، وسيأتي ويأخذ الشعب المختار إلى الملكوت، كما ورد في الكتاب المقدس.

نحن من يحدد درجة التعاطي مع الأحداث ومنحها درجة أدنى أو أعلى من الإباحة، لكن يا إدوارد في مسألة علم اللاهوت لا يمكن التسليم لذلك مطلقًا، الرؤى اللاهوتية محكومة بالقوانين الإلهية، والعزوف عنها يمثل أثمًا وخطيئة، كل خطيئة يترتب عليها ثمنٌ باهظ؛ هذا الثمن يتفاوت ما بين الأفراد الذين يعلمون وبين الأشخاص الذين لا يعلمون، الأمر أشبه بنظرية الكاس المملوءة التي ذكرها في الكتاب المقدس، **"وأخذ الكاس وسكر وأعطاهم قائلًا: اشربوا منها كلكم. لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين الخطايا"**[1].

كل إنسان لديه كأس إذا امتلئ يستحق أن تقع عليه لدينونة، لكن في حال تراجع عن خطأه، أصبحت الذنوب أقل إلى أن أفرغ هذا الكاس، لكن كأس العلماء والرؤساء والأنبياء تُملئ بسرعة أكبر من العوام؛ لأن مسؤوليتهم تكون أكبر من الأشخاص العادين، فهم مسؤولون عن غيرهم وليس العكس.

---

[1] العهد الجديد، إنجيل متى، (اصحاح ٢٦: فقرة ٢٧_٢٨).

[2] العهد القديم، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، (اصحاح ٦: فقرة١٢)

لا يوجد مباح مطلق في اللاهوت؟ يعتمد اللاهوت في تفسير النصوص اللاهوتية على فكرة النسبية، إذ تعد هذه الفكرة مذهلة ورائعة في آنٍ واحد، حيث تمنح حيزًا واسعًا للحوار والمناقشة وفق الضوابط اللاهوتية، تتمثل في الجانب العملي للاهوت، يمكن أن تحل محل التفسير الاستنباطي وفق الزمكان؛ لأن القواعد اللاهوتية مضت عليها فترات زمنية طويلة، تتغير التفسيرات التي تعمل عبر فكرة النسبية في تفسير النصوص وفق الضوابط، دون تمادي على العلم الإلهي، ففي كل الأحوال يبقى العلم الإنساني هو أدنى من العلم الإلهي، إذ يمكن تسمية العلم الإلهي بالعلم الفوقي قياسًا بالعلم الإنساني؛ ليحل الاجتهاد المسيس محل الاعتقاد الحقيقي الذي ينم عن الإيمان المطلق بكافة جزئياته، فقد جعل من اللاهوت أداةً للسياسة، وخاصة أن السياسة تتعامل مع المباح بأنه المطلق، مما يجعل من حركتها غير مقيدة، إذ تجد السياسة تتعامل وفق المصالح التي تحققها لنفسها بغض النظر إذا كان هذا الأمر مباح أم غير مباح.

الفصل السابع

رابطة الظلام...

لورنس بارتي رئيس رابطة الظلام...

حوار مع رؤساء نوادي رابطة الظلام

١. **مايكل برنارد** مسؤول نادي غرب أوروبا.

٢. **تومي سام** مسؤول نادي شرق أوروبا.

٣. **كيران رالف** مسؤولة نادي شرق آسيا.

٤. **تيريزا كامي** مسؤولة نادي أفريقيا.

٥. **بارك تايسون** مسؤول نادي الأمريكيتين.

٦. **بينجامين لأوي** مسؤول نادي الشرق الأوسط.

أن جميع أعضاء الرابطة في أنحاء العالم عليهم أن يمثلوا للأوامر من دون أي معارضة أو طرح أي سؤال، الوقت بات قريبًا جدًا يجب أن نحقق الأمل المنشود، يجب أن نجعل جميع دول العالم هي من تدافع عن قضيتنا، ولسنا نحن وحدنا من يفعل ذلك، فقد استطعنا أن نمزج الرؤى اللاهوتية ما بين كلمة يسوع وقول مؤسس.

إذن نحتاج فقط أن نجعل لنا ممثلين مرموقين، سوف يجعل لنا شعبية كبيرة داخل الجماعة السامية، خططنا نحو الشرق الأوسط الكبير بات نجاحها قريبًا، وجودنا في داخل الدولة اللاهوتية لا يمنحنا الهدف المنشود، الأعداء في كل مكان. جماعة يسوع فعلوا بناء الأزمنة القديمة الأفاعيل، نحن صفوة الأخيار التي وقع على عاتقها تحقيق الخلاص اللاهوتي، محاربة الأممية واجب مقدس يحتم علينا قتل الأشرار قبل تحقيق الخلاص.

لورنس:

عرضوا برامج عملكم وما فعلتم طيلة هذه العشر أعوام، مع طرح المقترحات

تومي سام:

اكتنف برنامجنا صعوبات عدة، لكن نجح بنسبة كبيرة، فقد مثل شعار السلام الأساس الروحي للخروج من الجيتو إلى أرض الرب، وخاصة أن الشيوعية هزمت وضعفت عشرات المرات عما كانت عليه، إلا أن الروس عنيدون ويضمرون العداء لنا، استخدمنا الوسائل المادية لإغراءهم، لكن في أغلب الأحيان نفشل، مما دفعنا إلى دعم الحكومة الشيوعية في حربها ضد دول المحور، والحصول على بيانات سرية من مسؤولي رفيعي

المستوى وإرسالها إلى بارك تايسون؛ لإعلام الولايات المتحدة الأمريكية حليفتنا الأساسية نقاط ضعف وقوة الاتحاد السوفيتي، واستمالت الشيوعيين في الوقت نفسه، إذ كانت بلدان شرق أوروبا بمثابة أرض خصبة للترويج لأفكارنا، ساعدنا في ذلك في الآونة الأخيرة التفاوت الطبقي الذي يعيشه السوفييت وبلدان الاتحاد، الأفكار الشيوعية هي أفكار حماسية رافضة لمشروعنا في المستقبل البعيد بعدما كانت الشيوعية الحليف الرئيسي لنا، وسبب رئيسي في اجتماعنا الآن إلا أنهم جماعة لا يمكن الوثوق بهم إطلاقًا، لذلك عملنا على إضعاف الاتحاد السوفيتي وتشجيع القوى العاملة للهجرة خارجها، مما أوجد لنا قوى عاملة وموقف مؤيد تبنى رؤية اقتصادية ولاهوتية مشتركة.

لورنس:

هل كان تحشيدكم قائم على أساس ايديولوجي أم على أساسٍ مادي؟

تومي سام:

الأفكار لا تنتشر في بطون جائعة، العقول غذائها الأفكار أما البطون فأن غذائها الطعام، الغذاء دائمًا سابق للعقل لدى العبيد.

ما يكل برنارد:

عملنا طيلة هذه السنوات على فكرة الخلاص اللاهوتي، هذا الخلاص يقترن بترك أرض الشتات، حيث عملنا على مزج الخلاص اللاهوتي المسيحي مع اليهودي، وأن يسوع منقذ الأمتين، هذا الأمر سوف يحقق لنا مكاسب لم نكن نحلم بها، عبر الحصول على دعم الدول التي تدين بالولاء ليسوع، مما يسهل علينا تأسيس الدولة، ومن جانب آخر ضاق الأوربيون ذرعًا من اليهود الذين يقطنون في أوروبا، إذ أيد دعم مشروعنا بهدف وضع حل لمشكلة اليهود في أوروبا، السيطرة على موارد أوروبا وشركاتها الكبرى أتاح لنا درجة تأثير كبيرة على قرارات وسياسات الدول، مما يجعلنا متفوقين في جميع أنحاء القارة شرقًا وغربًا.

لورنس:

ما هو مدى السقف الزمني للتفوق؟

مايكل برنارد:

التفوق المطلق (٢٠ عام) لكن بعد (٧٠ عام) يجب أن نبحث عن بدائل، تتمثل في الذهاب نحو حلفاء آخرين، إذ يعد الأوربيون أشخاصًا غير موثوق بهم، والتاريخ يشهد بذلك لهم، وكيف تعاملوا معنا، لكننا مسيطرين عليهم عبر السيطرة على موارد الطاقة سابقًا، أما حاليًا فقد أصبح بيننا رابط أيديولوجي

يمنحنا الأمان الجزئي وأن كان غير مطلقات، وخاصة أن الرؤى اللاهوتية لأي دين لا تتسم بالاستمرارية؛ لأن الأكاذيب مهما طال أمدها سوف يأتي يوم وتبزغ شمس الحقيقة. إذ يتطلب صقل هذه الادعاءات مع مرور الوقت وجعلها أكثر مرونة، وتوظيفها توظيفًا دقيقًا، فمع مرور الزمن تتصلب وتصبح أكثر قوة وخشونة إذا تركت، وهكذا هي الأفكار التي تهمل ينتج عنها ارتداد عكسي، يؤدي إلى نتائج سلبية تلحق الضرر بجميع الأطراف ونحن الخاسر الأكبر.

بارك تايسون:

تمثل الأمريكيتان الأرض الأكثر خصوبة لنا في الوقت الراهن، إذ تعد نقطة الانطلاق والعودة ومركز الثراء المادي والمعنوي للرابطة، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدين لنا بالولاء المطلق لتحقيق أهدافنا، يُعزى ذلك إلى التركيبة المجتمعية التي شهدتها الولايات المتحدة. الأمر أشبه بجمع جنسيات مختلفة في بلد واحد، إذ اقتبس المقترح الأساسي من مؤتمر عام (١٩٠٧م)، بجمع جنسيات مختلفة وتحديد مناطق ذات بعد لاهوتي وجغرافي معين والذهاب بهم على شكل دفعات كما حدث في العام (١٥٠٠م) من حملات تهجير وتغير ديمغرافي، سوف

تواجهنا في بداية الأمر صعوبات جمة، لكن مع مرور الوقت سوف يتم التكيف مع الوضع والتعاطي معه، الاعتياد يخلق اعتقادًا في الوجود، فمع تغيير الحقب الزمنية وتعاقب الأجيال مهما كانت الروابط متينة سوف تتعرض للتسويف.

رابطة الدم

رابطة الأرض

الروابط المقدسة...

لن تحظى بتلك الأهمية مثلما كانت عليه في المرة الأولى، سوف يعتمد على استخدام القوة الناعمة والخشنة في آنٍ واحد، ففي أول مئة عام سوف يكون الحقد والضغينة متفاوتات بين الأطراف، مما يدفع الأجيال اللاحقة التي سوف نعمل عليها وعلى تغيير ولائها إلى تركنا نحقق أهدافنا، وأن لم نحققها كلها دفعة واحدة، لكن السقف الزمني لحدوها مئة وخمسون عامًا. مقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية يوفر لنا الثراء المادي، إذ يعد بمثابة صندوق المال مما يساعد على تقديم المساعدات المالية في إتمام مشاريعنا خفية عن العالم.

لورنس:

كيف يتم قياس التقدم في المشاريع بعيدة المدى؟ وما هي الضمانات التي تقدمها لنا في تحقيق الأهداف؟

بارك تايسون:

تجربة الولايات المتحدة الأمريكية، والعمل على تحقيق نسخة مشابهه لها في عصرنا الحالي، ويتم قياس التقدم وفق المتغيرات التي تحدث على أرض الواقع، ففي كل خطوة يتم تحقيقها يعد بمثابة تقدم معلوم، ففي حال عدم قيام الدولة واستقلاليتها في خمسين عامًا، فأن التغيير كان مبهمًا ويصدح عن ذلك تغيير في الفواعل المادية، أما قيام الدولة بمضمونها التوراتي في مدة زمنية لا تتجاوز المئة عام، من الآن يعد السلم الأساسي للنهوض بالجماعة السامية.

كيران رالف:

برنامجنا في شرق آسيا محدود جدًا ولا يحظى بتلك الأهمية في الوقت الراهن، لكن مع مرور الوقت سوف يتحول ثقلنا من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الصين، إذا أمتلك ذلك معالم القوة التي يطمح لها.

البعد الذي نعمل عليه هو أيديولوجي، تحتل الكونفشيوسية مكانةً مقدسة في قلوب الصينين، ففي حال استطعنا أن نوظف

تلك الأفكار الكونفشيوسية لصالحنا، فمن الممكن أن تدر علينا منافعًا كثيرة، فقد بدأ عملنا على نشر شائعات بأن كونفوشيوس هو رجل يهودي هرب من الشرق بسبب بطش العرب الذين اغتصبوا زوجته وقتلوا جميع أفراد عائلته، وأن العمل على هذه الفكرة يبدأ بعد استقرار الدولة في مرحلة النشأة. توظيف الأساطير يرجع إلى احتمالية تغيير موازين اللعبة مما يدفعنا إلى إيجاد بيئة مناسبة لنا، وتكون بمكانة البيئة الحاضنة لنا في أحلك الظروف التي قد تجابهنا، يتجسد في العمل على استقطاب العقول وإرسالهم ببرامج خاصة عبر المنظمات الدولية التي تعمل لصالحنا.

لورنس:

لماذا لا نبدأ الآن؟ ولماذا منحتنا سقفًا زمنيًا بعيدًا لبداية الخطة؟

كيران رالف:

الأمر يتعلق ببقائنا، ففي حال شعور عدونا بأننا لا نفكر في المستقبل إنما فقط في بقائنا على ما نحن عليه، سوف يتفاجأ مما فعلنا وخططنا له، أما الآن فعلينا أن نحقق الأهم بوضع حجر الأساس في محله ومن ثم التفكير في الخطوات اللاحقة سيد لورنس.

تيريزا كاي:

يعمل برنامجنا على إيجاد حلفاء جدد لنا في القارة الأفريقية، نظرًا لقربها الجغرافي من الدولة اللاهوتية، وعداء بلدان القارة السمراء للدول العربية؛ بسبب الأحقاد التاريخية، خاصة جمهورية مصر؛ لذلك عملنا مع أصدقائنا ممن يدينون بالمسيحية بأن يمنحونا دعهم في المستقبل القريب والبعيد، وفي المقابل سوف نحقق لهم ازدهارًا اقتصاديًا كانوا يحلمون به، وأيضًا يوجد العديد ممن ينتمون للجماعة السامية (الفلاشا) في القارة الأفريقية، يساعدنا لكسب تأييد داخل القارة الأفريقية وتوثيق المد الأيديولوجي داخل القارة عبر توظيف القدرات المعنوية لخدمة الأهداف المادية، ففي حال تعرضت الدولة اللاهوتية لأي خطر من العالم العربي سوف ننقل اليهود إلى القارة الأفريقية.

لورنس:

ما هي الخطط المستقبلية لبرنامج القارة السمراء؟

تيريزا كاي:

يبدأ العمل على القارة الأفريقية منذ الإعلان عن الدولة، العمل بهدف إيجاد بدائل، ففي المرحلة الثانية التي ستأتي بعد

خمسين عامًا، يصبح الولاء لدولة اليهود، مهما كانت رؤية العالم لها خاطئة أو صائبة شرعية أم غير شرعية. تتمثل أخر مرحلة في استخدام الدول الأفريقية محركات قتال لصالحنا، وجعل القارة بمثابة حديقة خليفة يتم امتصاص مواردها لصالح الجماعة السامي.

بينجامين لأوي:

أهم النوادي وأكثر البرامج التي تعمل الرابطة عليها، إذ يعد هذا النادي هو سبب تأسيس الرابطة، ففي الأصل عمل النادي على برنامج تضليل حقائق التاريخ وتغييرها بخرافات وأساطير لم يكن لها وجود، إذ فسرت تفسيرًا أحاديًا يفتقر للبعد العلمي واللاهوتي الواقعي، اتفق الجميع على تأييد تلك الفكرة بهدف إيجاد دولة تحتوي الجماعة السامية، إذ عمل برنامج الشرق الأوسط على إرسال العمال إلى أورشليم والاستيطان بشكل تدريجي في الكيبوتس، حيث أخذ التغيير طابعًا إحلاليًا مع مرور الوقت أوجد شعبًا بدل شعب، وبعد الإعلان عن الدولة يتم العمل على صهر الاختلافات الثقافية والعرقية في بوتقة واحدة وهي بوتقة الدولة، إذ يترتب على باقي النوادي أن تركز عملها في خدمة نادي الشرق الأوسط، فإذا انهار برنامج الشرق الأوسط يصبح عمل باقي

النوادي بلا فائدة. يعمل برنامجنا على أساس جذب الشخصية اللاهوتية المؤثرة، من أجل كسب تأييد مجتمع الديسابورا والشتات للذهاب نحو الدولة اللاهوتية، وفي المقابل القيام باستثمارات كبيرة جدًا، لإيجاد دولة لاهوتية فريدة من نوعها، كل ذلك العمل يفترض أن تستقطب كبار الشخصيات من الجماعة السامية في كافة دول العالم في الدولة اللاهوتية.

نهض لورنس قائلًا:

يا إخوتي، إن كل جهودكم سوف يباركها الرب في ملكوته، نحن الشعب المقدر له أن يقود العالم فقد منحنا الرب تلك القدرة العظيمة واختارنا من بين تلك الشعوب، فليباركنا الرب كما بارك الآباء، أنتم الصفوة التي اختارها الرب لتحقيق المشيئة الإلهية فلا تتوقفوا عن العمل.

الفصل الثامن

بعد تناول وجبة العشاء مع العائلة في يومٍ جميل، جلس إدوارد في الحديقة وطلب من كاثي أن تلحق به، جلسا قليلًا ثم قال إدوارد:

- كاثي، ما هو أسوأ ما يتعرض الإنسان له؟

- أن يفقد إيمانه بمن حوله، أن يكون شخصًا انعزاليًا متخبطًا منطويًا على نفسه لا يفكر في الآخرين سوى نفسه، أن يسنى ذاته، أن يهزم من الداخل؛ فكل الهزائم التي تأتي من الخارج ليست سوى مجرد أحاديث عابرة في طي النسيان، لكن بعض الهزائم تستقر في أسفل الصدر عندما يصبح الإنسان غير قادر على المضي قدمًا، ولا يستطيع التوقع أن يكون ولا يكون أي شيء في الوقت نفسه. من المنظور السيكولوجي أن كل شخص معافى إلا من تعرض للخذلان، هذه جميعها لا تشكل شيئًا أمام الشعور بالخوف، أن أسوأ ما يتعرض له الإنسان هو أن يصبح إنسانًا خائفًا، يخاف من كل شيء حوله.

الخوف من اليوم

والخوف من الماضي

الخوف من المستقبل
الخوف من الأهل
الخوف من الأصدقاء
الخوف من الحياة...
أن تشعر بأن هذا العالم الذي أنت ولدت فيه لا تنتمي له، الخوف والشعور بعدم الأمان أسوأ ما يتلقاه الإنسان، لكن يفضل أن يحدث هذا الشعور في آخر عمر الإنسان؛ الخوف في مرحلة الشباب يختلف كثيرًا عن الخوف في سن البلوغ. هذا الجواب حسب ما أعتقد، لكن لِمَ تسألني هذا السؤال؟
- فقط رغبت أن أعرف إجابتكِ.
- إذن ما هو أسوأ شيئًا يتعرض له الإنسان؟
- أسوأ شيئًا أن يفقد الرجل عائلته، أكثر شيئًا يخيفني أن يموت من أحبهم، الرحيل والهجر والبعد والفراق كلمات مؤذية جدًا بحق، لا يمكن أن أتصور حياتي وأنا أصارعها وحدي يا كاثي، عائلتي بالرغم من أنني بعيد عنهم طوال الوقت إلا أنهم في قلبي عالقين، ما يؤذيهم يؤذيني، البعض يتعمد تصنع الألم لكن الألم الأكبر أن تعيشه لكن الألم الأكبر هو الذي تتعايش معه بصمت رهيب.

الظلم
الحرمان
الاستغلال
الفقدان
الكذب...
جميعها صفات واختصارات لأسوأ ما يعيشه أي إنسان، لكن ما أشعر به أنا الآن أسوأ بكثير أخشى انأن أبوح به لأحدهم،
أن تكوني أنتِ يا كاثي ولستِ أنتِ في آن واحد، تبدو سعيدًا وتبكي من شدة الضحك وأنت تكذب، أن تشاطر يومك مع منافقين هو أسوأ ما يحدث مع أي شخص، إن ما يخيفني أن أكون على طبيعتي في عالم جاهل ومتصنع وكاذب، في عالم أصبح لصهم حكيمًا وفاسقهم رجل دين ومخادعهم شخصًا ذا شأنٍ عظيم.
الخوف المادي أمر محتمل وممكن أن تجد له علاجًا أو تتفاداه على أقل تقدير، فقد تجرح يدك وتصاب بنوبة خوف جراء اختراق ألة حادة يدك وخروج الدم، لكن بعد علاجها تلازمك الطمأنينة بأن الخطر قد ذهب، الخوف الذي يقبع في وسط الروح هو الأشد ألمًا، فقد يقطب الجرح ويشفى لكن هاجس

حدوث ذلك مرةً أخرى يرعبك، الجرح مادي فيما أن الألم معنوي، الجرح ملموس أما الألم محسوس.

في بعض الأحيان نجلس نناقش العديد من النظريات التي تتلاءم معنا والتي لا توافق أفكارنا، نجد أن مجرد الحديث فيها مؤلمًا ألمًا لا يطاق، تشعر للوهلة الأولى بأنك قد اقترفت خطيئة تدنس جبين الإنسانية عليها، عندما نقول أن الكذب هو الصدق ونكذب الصدق، ويقتل أحدنا أفكار الآخر تحت وطأة القيم النبيلة والعادات والتقاليد، تجلد ذاتك لأجل ملذاتك، تتجرد من إنسانيتك، تصبح شخصًا لا يعلم عن نفسه شيئًا، هنا يجب أن تخافي يا كاثي... هنا فقط، أما غيرها فهو ترهات.

الفصل التاسع

يوم العار العظيم

(١٤ أبريل ١٩٤٨)

أثناء إلقاء المحاضرة عن **الافكار اللاهوتية وتأثيراتها السياسية**، سمعت هتافات في باحة الجامعة

(ה' יחיה את ארץ ישראל, ה' יחיה את ארץ ישראל, ה' יחיה את ארץ ישראל, ה' יחיה את ארץ ישראל)

علمت أن اليوم هو اليوم المشؤوم، اليوم الذي سيحدد مصير الجماعة السامية، كيف يحدث ذلك؟ يجب أن لا يتم بهذه الطريقة! نظر إلى الطلاب قائلًا:

(الفكرة المقدسة عندما تسُتغل تصبح فكرةً شريرة فاقدة للمعنى)

الأفكار اللاهوتية أفكار تتسم بالقداسة المطلقة، التي يجب أن نسلم بها ولا نعد مجال للتشكيك فيها، الشك واليقين لا يلتقيان في الفكر اللاهوتي، الفكر اللاهوتي نتاج للفكر الإلهي، أسمى وأعلى من الفكر الإنساني المادي المتواضع، المعضلة ليست في ذلك يا أعزائي، المشكلة عندما تفسر النص الديني وفق مصالح سياسية لتحقيق أهداف محدودة يؤدي إلى نتائج

عكسية مما يضعف إيمان الأطراف في الاعتقاد الراسخ، لم يكن أحدنا يومًا وصيًا على الآخر، ولا يحق لأحد أن يحاسب أحدًا على خطأ لم يقترفه، الحياة ظالمة بطبيعتها، الفكر اللاهوتي هو أداة للسياسة، والأفضل أن نتجرد منه في الأفعال السياسية؛ لأننا سوف نقف في منتصف طريق يعارض إيماننا. الأخبار تتحدث عن إعلان قيام الدولة اللاهوتية، وأن الخلاص اللاهوتي بات قريبًا، ثم تذكر إدوارد تلك الأرقام التي وجدها مكتوبة على بطاقة بالقرب من التمثال، ومن ثم ذهب واتصل بميشيل:

- الو

ميشيل:

- مرحباً إدوارد، كيف حالك؟

- أنا بخير، أنت كيف حالك؟

- أنا بخير أيضًا.

- نسيت أن أخبرك في اتصالي الأول بك أن هناك مجموعة أرقام مكتوبة على قطعة ورقية بالقرب من التمثال.

- ما هذه الأرقام الموجودة؟

- لا أعلم، لكنني أعتقد إنها شيفرة.

- إدوارد، لـدي صـديق فـي جامعـة كاليفورنيـا مختـص فـي علـم الرموز وفك الشيفرات، هل ترغب بالتواصل معه؟ يدعى نيلسون براون، سوف أجعله يتواصل معك الليلة.

- أنا ممتن يا صديقي، إن هذا الأمر يرهقني جدًا.

- لا عليك...

ومن ثم انقطع الاتصال.

كـان يـوم إدوارد شـاقًا جـدًا، اسـتلقى علـى السـرير وبـدأ يشـعر بالنعـاس، ثـم سـمع صـوت الهـاتف يـرن، نهـض مـن السـرير وكـان يعتقد أن ميشيل أعاد الاتصال

- الو

- هل أنت إدوارد؟

- نعم

إدوارد:

- هذا الصوت غريب لم أسمعه من قبل!

صمت قليلًا، فسأل إدوارد:

- من معي؟

المجهول:

- الدماء المقدسة يجب أن تُسفك لتحقيق الخلاص.

إدوارد:
- أي دماءٌ لم أفهم شيئًا!
المجهول:
- خُلقت لتفعل أي شيء من دون سؤال، أنت الشخص المنشود، اتبع التعاليم، لا تسأل أنت المختار.
انقطع الاتصال.
كاثي:
- إدوارد، لقد وصلت رسالة باسمك.
إدوارد:
- غريب، الساعة (١١:٤٨ ليلًا)، من يبعث رسالة في هذا الوقت؟
أخذ الرسالة وفتحها، كانت مكتوبة بلغة غير لغته لم يفهم شيئًا منها، كانت عبارة عن مجموعة حروف مبعثرة:

यरुशलेमनगरे शृगालानां रक्तम्
अन्धकारमायावना वनम्

अन्यजातीया प्रभुना तस्य पुत्रैः सह युद्धं कृतवन्त

सुदूरपूर्वत

चयनिता **भगवान् सर्वान् दण्डयति जनाः मोक्षं प्रतीक्षन्ते**

मोक्षः सिनाईपर्वतात् आगमिष्यति

إدوارد:

- لم أرَ كتابة كهذه في حياتي، لكن ماذا تعني تلك الكلمات؟ ولِمَ رُتبت بهذا الشكل؟ بالتأكيد هناك لغز خلف ذلك، لا يعقل أن توضع هكذا من دون تخطيط مسبق لها، وإن وضعت فأن سرًا ما هنالك، يجب أن أجد تفسيرًا لكل تلك الرموز والأحداث.

جدي اعتقد أن نبوءته كانت حقيقة وليست مضح خيال، لا أنسى ما قاله لي يومها:

- أنت يا إدوارد أمل السلام الذي سوف يتحقق على يدك، لكن يجب أن تكون حذرًا؛ بغية أن لا تسقط في قعر الظلام، أن سقطت فلن تستطيع الخروج منه بأي طريقة أو أخرى، حكِّم عقلك باختيار الطرقات، فليس كل طريق يؤدي إلى النور، أعلم أنني أتحدث معك وأنت لازلت طفلًا لم تتجاوز العاشرة من عمرك، لكن أعي تمامًا ما أقول سوف يأتي اليوم الذي تتذكر فيه

كلامي، خُلقنا من ذاتٍ واحد لها أبعاد مترامية، من السهل أن نفهم كل شيء، ومن الصعب أن نفعل أي شيء.

قلب الورقة فوجد فيها أرقام غير منظمة، لكن هذه المرة كانت في جدول، يضم كل حقل كلمات رئيسية تحتوي في داخلها على أرقام:

المادية	النقد	الذات	الأصل	الخلق	التجريبي	اللاهوت	التكوين	التفسير	الوثنية
الخلق	الذات	الأصل	التكوين	التفسير	المادية	التفسير الخلق الذات التكوين الأصل	النقد	اللاهوت	الاصل التجريبي النقد
٠	٠.٥	٠.٢	٠.١	٠.٩	٠.٣	٠.٨	٠.٦	٠.٤	٠.٦

يا إلهي، ما هذه! سخافة... يتوجب عليَّ أن أستعين بصديقي ميشيل، الأمر أصبح لا يطاق.

- الو ميشيل، كيف حالك؟

ميشيل:

- مرحبًا إدوارد.

إدوارد:

- لماذا لم يتصل بي صديقك نيلسون؟ أنا بحاجة ملحة للتواصل معه.

- لقد تواصلت معه، ويرغب برؤيتك مساء يوم الجمعة، لكن لِمَ أنت على عجلةٍ من أمرك يا إدوارد؟

- لا شيء يا ميشيل الأقرع، لديَّ بعض الفضول لمعرفة بعض المسائل التي أجهلها.

- أنت شخص متعجرف يا إدوارد لم تتغير منذ أيام الجامعة، طالما كنت تبحث عن معرفة الأشياء المبهمة والتي يصعب على الآخرين حلها؛ لذلك أنت تزوجت متأخرًا.

- هه هه هه هه، وأنت ماذا فعلت بزواجك المبكر من إيميليا؟ هه هه هه، لا زلت ساذجًا كما عهدتك.

الفصل العاشر

واشنطن

متحف سميثسونيا الوطني

في تمام الساعة ٢ بعد الظهر

دخل إدوارد إلى ساحة المتحف الوطني، بدأ يلتفت يمينًا ويسارًا، لعله يجد الشخص المنشود، بعد السير في داخل المتحف طيلة ثلاثين دقيقة شعر بالعجز من محاولته إيجاد السيد براون صديق ميشيل، بعد أن همَّ بالخروج من المتحف لفت انتباهه رسم نقش الأفعى على إحدى لوحات المتحف، بدأت للوهلة الأولى أن هذه الصورة مألوفة، فقد كان متأكدًا من رؤيتها في وقت سابق، ووضعت كتابة أسفل اللوحة مكتوب عليها:

(رابطة الدم المقدس زائلة)

أوه تذكرت؛ معصم السيد روبرت كان عليه النقش نفسه الذي على اللوحة فجاءة وضع أحدهم يديه على كتفي، التفتت إليه؛ بدأ وكأنه شخص في الستين من عمره

- عفوًا سيدي، هل أساعدك بشيء؟

الرجل الكبير:

- نعم، تساعدني بالشيء الكثير، أنا لدي اليوم موعد مع شخص يدعى إدوارد، واتفقنا أن نلتقي هنا في المتحف الوطني في قاعة الأعمال الفنية، وأنا لم ألتقِ به، فهل تساعدني للوصول إليه؟ لم أجد أحدًا أمامي غيرك، مع أنني أظن أنه رحل؛ لأنني تأخرت أربعين دقيقة عن الموعد، فقد انشغلت بالبحث عنه ولم أجده، ومن ثم جلست أتابع شغفك تجاه لوحة السحر الأسود وجدتك منجذبًا إليها.

- عفوًا سيدي، أنا روبرت

- أعتذر لعدم معرفتك في بداية الأمر، لكنني سعيد جدًا، كنت أتمنى أن تكون أنت.

روبرت:

- لماذا؟ هل لهذه الدرجة أعجبتك؟ هه هه هه سيد براون.

براون:

- نعم كثيرًا، هل لي بسؤالك ما السبب الذي جذبك إلى هذه اللوحة بالذات، بالرغم أن لوحة الجحيم كانت أكثر إثارة من هذه اللوحة؟

إدوارد:

- لا أعلم، لكن وجدتها لوحةً جميلة.

لا أعلم لِمَ أخفيت عنه الحقيقة، لكنني شعرت بعدم الارتياح
- إذن هل نذهب ونجلس في مكان هادئ داخل المتحف أم نقوم بجولة سيد براون؟
براون:
- نجلس لنتحدث، ومن ثم نقوم بجولة داخل المتحف.
ذهب كلٌ من إدوارد والسيد براون إلى قاعة الاستراحة، وبعد مضي خمسة دقائق من تبادل أطراف الحديث، قال إدوارد:
- سيد براون، تحدث معي أمور غريبة لا أفهمها، وهذا الأمر يريبني، فقد بدأت هذه الأحداث في لندن أثناء قيامي بإلقاء محاضرات في جامعة لندن قبل ستة أعوام تقريبًا، بعد إلقائي المحاضرات ذهبت لتناول الطعام ووصلتني رسالة مكتوب عليها:

(الذات الإنسانية جزءٌ من الذات الإلهية)

لم أبدِ للأمر أي اهتمام، لكن تعاقب الأحداث وتعقد التفاصيل، لكن بعد أربع سنوات وأثناء ولادة زوجتي لطفلي البكر مارتن، وصلني طرد مكتوب عليه عبارة لا مفر لي للخلاص، وأن الأمر قد بدأ، وما زاد الأمر غرابة كتبت ورقة وضعت مع الطرد بعض الأرقام:

٧-١٠-٥-٨-٠-٧

لم أجد تفسيرًا لها، وكان يحتوي الطرد على تمثال وثني.
وأثناء الحديث بدا على براون شارد الذهن، فقال له إدوارد:
- ما بك؟
ردَّ عليه:
- يجب أن نذهب إلى مكان آخر نجلس فيه ونكمل حديثنا يا إدوارد.
- إذن لنذهب إلى منزلي، وتمكث عندي إلى أن نكمل عملنا.
- نعم لنذهب، لكن دعنا نتجول قليلًا في داخل المتحف.
وأثناء سيرهم في الممر الطويل توقف إدوارد عند الغرفة الحمراء، وبدأ ينظر إلى سيف تاريخي قديم، تمعن في النظر إليه طويلًا، أخبره السيد براون:
- أجدك تمعن النظر طويلًا في القطع التاريخية، هل تعلم ما قصة هذا السيف؟
- نعم، هذه القطعة الوحيدة التي بقيت من سيوف جورج بوش الأب الذي حرر أمريكا من العبودية.
أجابه إدوارد:
- لا أعتقد ذلك يا سيد براون؛ فأنا أرى بقايا أثر على السيف خُطت بلغة لا تمت لنا بصلة، هي أشبه بالخطوط القرمزية التي

نُحتت على تاج لويس السادس عشر، هيئة هذا السيف وطريقة تصميمه لا تعود لمجد حضارتنا، أن أصلها في الشرق الأقصى، ألا يبدوا ذلك غريبًا سيد براون؟ لكنني أخبرتك أن هذا السيف أمريكي الأصل، انظر إلى أسفله ماذا كتب:

(المجد للرب الذي حررنا من الطغاة)

إدوارد:

- أنا لست خبيرًا في صناعة السيوف، لكن جدي كان ضليعًا في ذلك، فقد أخبرني يومًا أن السيف الذي يُصقل يهترئ من الأعلى، هكذا كان يكشف المخادعين، انظر إلى السيف لم يُصاب بالصدى، فقد كان متأكلًا من المنتصف.

سيد براون:

- إنه سيف المجد.

- وربما يكون سيف العذاب.

- ما تعريفك للمجد والعذاب إدوارد؟

- لكل شيء محدد تعريف معين، إلا التاريخ فلا يمكن تعريفه يا سيد براون، فقد نكون جبناء متخاذلين وعندما نكبر نحكي لأبنائنا خرافاتٍ وأكاذيبًا، ونجعل من أنفسنا أساطيرًا ونحن لا نعدو أن نكون رجالًا بحق! المجد أن تعلم من أنت في أي

وقت، وأن تكون حقيقيًا واقعيًا مع نفسك قبل أن تكون مع غيرك، الشجاعة تجلب المجد أما المجد لا يجلب الشجاعة، فكم من رجال ماتوا في سبيل أن يقال عنهم صانعي المجد ويُخلدوا في التاريخ، لكن الحقيقة الذي كان يظفر بالمجد من كان متحكمًا بالوضع. الجميع يرى ويعلم ويسمع عن الولايات المتحدة الأمريكية بأنها أمة عظيمة، لكن الحقيقة ليست كذلك يا سيد براون، أمريكا ليست كذلك، بل حلفائها هم من كان لهم العظمة، وحتى الحلفاء ليسوا كذلك، بل الرجال الذين حملوا البنادق في معارك الظلام، كل شخص فيهم كان يرغب في الحصول على المجد، عن أي مجد كانوا يبحثون عن الموت في سبيل قضية يؤمنون بها، انتهت الحرب وتصافح الرؤساء وجلسوا مع أحبائهم وأصدقائهم، ولم يعد صاحب المجد، رحل صاحب المجد ولم يظفر فيه إطلاقًا، ومن عاد قضى أيام عمره يرى كوابيس المجد.

أما العذاب أن تدرك كل ذلك متأخرًا، أن تفهم أن كل ما كنت تؤمن به وتقدسه، نقيض من العدم وكذبة متأصلة في نفسك، حاولت مرارًا وتكرارًا أن تخلق هالة من الصدق تحيط بالكذب، الواقع الذي تتصادم فيه يجعل منك شخصًا بائسًا بحق، لا يعلم

ما حدث لذلك النور الذي كان يشع في داخل دهاليز روحك المقيتة والظلام الدامس يزداد رويدًا رويدًا، ومن ثم تنطفئ شعلة الحقيقة.

يتوهج زيف الحقائق التي رحلت إلى طي النسيان، فلم ينل أحد المجد، حتى الإيمان يصاب بالأذى يا سيد براون، أنا أؤمن بعدالة قضيتي التي أدافع عنها بأنها وحي من السماء، لكن طريقة تنفيذ تلك الخطة غبية بالتأكيد، كيف تطلب من شخص متدين مثلي أن يحدد لك المجد والعذاب، وتراه عاجزًا عن أن يدافع عما يؤمن.

سيد براون:

- لماذا عاجز؟

إدوارد:

-عندما تجعل مصيرك بيد الأكثرية الجاهلة فلا تأمل حدوث شيء جيد، إذ كان الأكثر لهم قرار مختلف عن شخص آخر، فأن الأكثرية ليست بالضرورة تعي كل خياراتها، لقد وقعوا عقدًا مع الشيطان، سوف ترهق الأرواح التي ليس لها ذنب في ذلك، لِمَ؟ لأن الأكثرية قد قالت وفعلت، وهي في الأصل لا تعلم شيئًا سوى أن البعض حركوا مسار السفينة، ويعتقد المجذفون أنهم من

حركها، ولا يعلم أحدهم أن هناك من يتحكم في مسارهم، يحدث كل ذلك لأن هناك شخص يحمل سواطًا يقف فوقهم كل من يرفع رأسه لينظر يضرب بلا رحمة، ليس كرهًا، لكن بداعي أن يبقى الجميع جاهلًا، للجهل ثمنٌ باهظ جدًا.

أنهى إدوارد حديثه وأكملا جولتهما في المتحف، نظر السيد براون إلى الساعة تشير إلى السادسة ليلًا، ومن ثم ذهبا إلى المنزل، وبعد تناول وجبة العشاء طلب السيد بروان أن يلقي نظرة إلى الأرقام والتمثال الوثني، تردد إدوارد في بادئ الأمر، أحضر إدوارد الطرد وفيه التمثال والرسالة وأعطاها للسيد براون، السيد براون يحدق في التمثال ويهز رأسه، ومن ثم نظر إلى الأرقام، وقال:

- يا إدوارد، هل تعلم لمن يعود تصميم هذا التمثال، أو بالأحرى يمثل صورة من؟

- إن كان شكي في محله فأن هذا الشخص هو ملك حضارة القوة التي سفكت دماء أبناء شعبك في يومٍ من الأيام، وهذه الأرقام يجب أن ترتب ترتيبًا صحيحًا لمعرفة مغزاها:

٧-١٠-٥-٨-٠-٧

علينا ترتيب الأعداد تصاعديًا أو تنازليًا بدون تكرار:

١٠-٨-٧-٥-٢-٠

لدينا العدد (٧) مكرر مرتان، نرتب الأعداد التي تحمل رقم واحد فقط:

٨-٧-٥-٢-٠

- ما هذه الأرقام برائيك يا إدوارد؟

- لا أعلم، لكن أعتقد أنها ترمز إلى مكان.

السيد براون لِمَ لم تجعلها ترمز إلى تاريخ؟

إدوارد:

- لا يمكن أن تكون كذلك؛ لأنها تتكون من خمسة أرقام الآن، والتاريخ الحالي والقادم الذي يمكن أن أعاصره يتكون من أربعة أرقام، وأن أضفنا الأرقام الأخرى فأن الأمر يبدو مستحيلًا حتى في التاريخ الذي يعتمده العرب لا يشكل رقمًا، إلا في حال وضع رقم عن طريق الخطأ؟

السيد بروان:

- هل نسيت تاريخك يا إدوارد؟

- أوه ... نعم، لم يخطر ببالي هذا الأمر.

ثم همس بأذنه قائلًا:

- لقد كشفت السر، لِمَ لا نرتب الأرقام بالتاريخ العبري؟

(٥٧٢٠)

هـذا التـاريخ يـدل علـى السـنة العبريـة، ونحـن الآن فـي سـنة (٥٧١٧) أي بعد ثلاث سنوات يصادف هذا التاريخ؟

- إدوارد، نسيت باقي الأرقام (٧-١٠)، السيد براون لـم أنسَ أي شيء، هذه الأرقام تمثل بداية السنة العبرية في كل سنة(السابع مـن أكتـوبر) أمـا العبـارة التـي وجـدتها مكتوبـة، أعتقـد أن هنـاك جماعة اختارتك للقيام بمهمة معينة، جرى اختيارك بأي طريقة؟ لا أعلم لِمَ تم تنصيبك؟ لكـن أعلـم أمرًا واحدًا أنـت شـخص مؤثر وتختـص فـي علـم اللاهـوت، وأن وقـع عليـك الاختيـار فـأن الأمـر يتعلـق بمواقفـك اللاهوتيـة؛ ولحـدتك وصـرامتك وقـدرتك علـى التأثير في أفكار الأخرين.

إدوارد:

- تذكرت أمرًا، أغلب الرسائل كُتب عليها كلمة أصدقاء السلام.

السيد براون:

- هل قلت أصدقاء السلام؟ إذن أنـت هـدف المنظمـة، لقـد وقـع الاختيار عليك ولا يمكن لك أن تفر من قدرك يا إدوارد، فأن لـم تفعـل سـوف ينتهـي بـك الأمـر مشـردًا تخسـر جميـع مـن حولـك، عليك إن تتبع أوامره من دون تردد، الثمن سيكون باهظًا جدًا ولن

تستطيع أن تتحمله، صنفت هذه الجماعة على أنها جماعة مارقة عن القانون.

- مارقة على القانون وتريد مني أن أتبعهم؟ عجبًا ما بك!

- هم جماعة فوق القانون.

الفصل الحادي عشر

- هناك كلمات نُقشت باللغة السنسكريتية، علينا ترجمتها في الأول لمعرفة مضمونها.

- أعتقد أنني أحمل في حقيبتي معجم للترجمة؛ لأنني اليوم كنت أعمل على مخطوطة جاءت من الشرق الأقصى قبل المجيء إليك.

فتح الحقيبة وأخرج معجمًا صغيرًا مهترئًا جدًا، وبدأ يدون الملاحظات، ومن ثم بدأ بتقسيم المقاطع المتفرقة كلاً على حدة، ووضع ترجمة مفصلة لكل واحدة منهم.

السيد براون:

- الترجمة لم تكن حرفية يا إدوارد، أنا ربطت ما بين العبارات والجمل لتكن مفهومة، الشطر الأول:

دماء الثعالب في أورشليم	**यरुशलेमनगरे शृगालानां रक्तम्**

هنا ذكر لفظ دماء، وثعالب، وأورشليم، إذن كانت هناك صفة حيوان مفترس ومكان محدد، برأيك ماذا تعني يا إدوارد، أعتقد أن الدماء أتت للقصاص ورد الدين، أما الثعالب فقد يطلق لفظ ثعلب على الشخص الماكر والمخادع أو المراوغ، يمكن أن

تكون رد الدين من المخادعين، أما أورشليم فأن معناها اللاهوتي في الكتاب المقدس (القدس).

يمكن القول، العودة إلى أرض الرب وقتل الأشرار، لكن هذه العودة زائفة، يجب أن تكون من خلال الوحي الإلهي، أن كانت صادقة، الإيمان يتعارض مع الكذب الممنهج، سوف يؤدي بنا الأمر إلى تغيير الاعتقاد والتلاعب بالنصوص اللاهوتية المقدسة، وأن حدث ذلك سوف يحدث **الديحي هاكس**، مما يعرضنا للفناء، هذا أمر خاطئ جدًا، من يتلاعب بالنص الإلهي يمكن أن يحقق الرذيلة، شأنه في ذلك شأن الجويم الأغيار.

النقد المادي قائم على رؤى تجريبية، الخطيئة تقوم على الأفعال المعنوية والمادية، الخروج من الأصل والتعامل على أساس برغماتي يولد دوغمائية مرئية لدى العديد من الأشخاص، يوجب علينا تحديد مواطن الخلل في فكر الإيلاء اللاهوتي.

وخاصة أن مادية النقد ترتكز على رؤى تراجيدية ملموسة، هي نتاج للوقائع السياسية الحتمية وحتى الوقائع الميتافيزيقية التي تعنى في دراسة الفكر اللاهوتي.

السيد بروان:

- انظر إلى الشطر الثاني؛ لأن الأمور مختلطة مع بعضها:

ذكرت الغابة (وصف) والسحر(مهنة) الأسود(صفة)، هذه المفردات تعيد إلى ذاكرتي إلى فرقة القبالة، تعنى بالتأمل، وأن الآلهة خلقتنا من ذاتها، كتميز لمعامل الجماعة السامية.

الغابة السحرية تغيير الأحداث بطريقة سريعة وغريبة، كرمز الأفعى الذي رأيته على معصم روبرت.

يا إلهي لا يمكن البوح بكل شيء إلى السيد براون، لا زلت أشعر بعدم الارتياح له، لكنني مضطر، يجب أن أساير الوضع بهدف معرفة الأمر إلى ما سوف يؤول إليه.

السيد براون:

- ما تفسيرك اللاهوتي لهذا الوصف؟ فأن تحليلي للوقائع مختلف عما أنت تراه، وأيضًا أن الرسالة وصلت إليك وليست لي، يجب أن يكون تفسيرك مطابقًا للغرض الذي أرسلت من أجله.

إدوارد:

- الغابة السحرية السوداء يمكن أن تكون معركة نهاية العالم التي يرتقبها الجميع، من خلالها يتم الخلاص الذي طال انتظاره، لكن هذه الغابة وفق الرؤية اللاهوتية هي مليئة بالمكائد والمصائب التي لا يمكن تفاديها بسهولة، هي أشبه بالمتاهة

التي يقع الشخص فيها ويصعب الخروج منها، ففي بعض الأحيان حتى الأشخاص المتمرسين لا يستطيعون الخروج منها، فأن دخلت تلك الغابة؛ يصعب عليَّ التنبؤ بما يحدث لي في المستقبل؛ لأن الأفكار لا تتجزأ والقيم لا تتغير، التغيير الجزئي له ردود أفعال إيجابية، وفي المقابل هناك أثمان يجب أن ندفعها إن طلبنا التغيير، لا يحدث شيء من دون ثمن.

الفلسفة اللاهوتية تمنحنا آفاق وأبعاد منقطعة النظر في دراسة ومعرفة الطرقات التي نسلكها، لكننا نكون عرضة للخطر طيلة الوقت، الوقت العنصر الأساسي الذي يجب العمل عليه، تحديد وقت دخول المتاهة يمنحك نسبة عالية في تجاوز المتاهة بنجاح، إذا كانت غابة أو حتى جدران مترابطة مع بعض يمكن لنور الشمس أن يرشدك إلى طريق النجاة، إن الطريق قد يستغرق يومًا أو عامًا، خطأ صغير سوف يؤدي بك إلى التهلكة، كل خطوة يجب أن تكون صحيحة، لا مجال للتراجع عند الدخول.

السيد براون:

- ماذا عن الشطر الثالث؟ هل يوضح الصور لك؟

قاتل الوثنيون الرب وأبنائه	**अन्यजातीया प्रभुना तस्य पुत्रैः सह युद्धं कृतवन्त**

إذن هي المعركة التي لا مفر منها للخلاص، كيف يتم تحديد من هم على حق أو على خطأ، لا يوجد معيار ثابت، تتجسد الحقائق مع الجماعة السامية، ومن ضمنها هناك من هم على خطأ ومن هم على صواب، فأن أخطأ الآخرون كيف لي أن أخطئ؟! الشعب المختار هم المعمدين والمخلصين اليهود، حتى وإن كان كلاهم واحد وهم على حق، من سوف يقاتل من؟ وهل الإرادة الإلهية تنازلت عن حقها في العمل؟ وهل ما سيحدث هو الصواب؟ تقول الأسطورة إن الشعب المختار سوف يعود يومًا، لكن حددت الأسطورة طريقة العودة، والكتاب المقدس قال ذلك، الخروج عن تعاليم الكتاب المقدس يؤدي بنا إلى الخروج من تعاليم الدين، مهما كان شكل الدين أو الاعتقاد به، بغض النظر عما كانت هيأة الدين فأن العزوف عن تعاليم أي نص من نصوصه أو ثوابته يعد بمثابة خرق لدستوره وكيانه.

السيد براون:

- هل التدين وفق الرؤى اللاهوتية وفق العمل أم التعلم؟

إدوارد:

- لا يهمنا في دراسة اللاهوت أي دين تتبع، المهم كيف تتعامل مع نصوصه، الدين مقدس يتلازم مع القداسة في حين الإنسان يكون مرتبطًا بطريقة أو أخرى بالخطأ، بمعنى أن العمل أفضل من التعلم، فأن كنت تعلم القليل وتطبقه أفضل لك من أن تعلم الكثير وتتجاهله.

التجريبية المادية تمنح نتائجًا إيجابية؛ لأنها تحدد مواطن ضعف وقوة العينة التي يتم العمل عليها، فأن نجاح وإخفاق أي تجربة، يعود عليها بالنفع وفق الرؤية الأصولية النقدية المادية، ويكون الإخفاق في أغلب الأحيان أفضل من النجاح في المجالات المادية فقط.

السيد بروان:

- الشطر الرابع.

الشرق الأقصى	**सुदूरपूर्वेत**

إدوارد:

- الشرق الأقصى، مكان غير معلوم، ومبهم ويكتنفه الغموض.

السيد براون:

- التمثال، نبوءة أهل الشرق.

إدوارد:

- ليس أورشليم، الشرق الأقصى هو أقصى الشرق في الشرق، هم الوافدون الجدد ومركز الحضارة القادمة، اتباع المخلص سوف يأتون من أقصى الشرق يؤيدون وجوده ويصدقون كلامه، فقد ذكر في المأثور اللاهوتي عنهم، وأيضًا انظر سيد نيلسون كيف وضعت المفردات، أخذت شكلًا يشبه التنين.

إدوارد:

- نسيت إخبارك رأيت أكثر من مرة وشم الأفعى على معصم ورقبة أحدهم، هل لذلك علاقة بما نفعل؟

السيد براون:

- بالتأكيد يا إدوارد، أبسط الأشياء قد تكون أعظمها وهي الطريق نحو حل وفهم أي معضلة، قد يكون المستحيل هو الحقيقة في أغلب الأحيان.

الأفعى هي شعار القوة الناعمة، لا تشعر بخطواتها فقط عندما تجهز عليك بعد فوات الأوان، موطنها الأصلي يقع عند أهل الشرق، لسنا وحدنا من يحدد هذا المكان، فأنت يا سيد براون تشاركنا في ذلك، ما هو اعتقادك في هذا المكان؟ مكان للوهلة الأولى هو المكان المعتاد، لكن بعدما سمعت منك هذه الحجج، يقينًا أن هذا الموطن هو مركز حضارات العالم القديم.

وسيكون قبلة العالم نحوه في العالم الجديد. عند فك أي رمز أو شيفرة نستدل بالحقائق والثوابت، لتصديق أو تفنيد أي أمر، ووفق الرؤى اللاهوتية، سوف يكون أغلب اتباع المخلص المنقذ من أهل الشرق، وهم من يساندوه، وأن التلاعب بتلك الحقيقة الراسخة مستحيل من أصدقاء السلام.

إدوارد:

- نعم، لأن الواقعية التجريبية العينية ما يثبت ذلك سيد براون.

السيد بروان:

- الشطر الخامس

الرب يعاقب الجميع	**भगवान् सर्वान् दण्डयति**

إدوارد:

- يوم الخلاص وتحقيق النصر العظيم، هذه العبارة يا سيد براون فيها نوع من الخطأ في الترجمة، كيف يقول الرب، بأنه يعاقب الجميع؟ لم يتم تحديد من تحق عليهم الدينونة، ولا يمكن القول أن حق الدينونة سوف يقع على الجميع من دون استثناء. إن تقع على جميع المخطئين من الأغيار والأممية وحتى من الشعب المختار، هو أمر معقول وهذا ما أخشاه أنا بالتأكيد، أن يحق عليّ الدينونة، هنا الفيصل الذي يمنعني من المشاركة في

هـذه اللعبـة، الخـلاص الإنسـاني لا يمثـل الخـلاص الإلهـي، الخـلاص الإنسـاني يعـد جـزء مـن الإرادة الإنسـانية، الإرادة الإنسانية هي الأفعال المادية والمعنوية التي يقوم بها الإنسان في طار الإيعازات التي يصدرها العقل البشري للجسد للقيام باللوازم المادية، مما يخلق أثرًا يزول على المدى القريب قياسًا بالخلاص الإلهي، أسمى وأرفع وأقوى من الخلاص الإنساني، الخلاص هنا بالمعنى الجوهري الوصول إلى حلول المشكلة النهائية من دون قيد أو شرط يكتنف هذا العمل؛ لذلك تحق الدينونة على جميع الأشخاص الذين يشاركون بالخلاص الإنساني بناءً على قيامهم بأفعال مادية ترفع نسبة نجاح هذا العمل أو حتى تأييدهم لهذا الفعل.

إذن ما يتحتم علينا القيام به هو التأييد المبهم للفعل والفواعل المادية. الاستدلال بالنصوص اللاهوتية والعمل وفقها، وإن كان القيام بذلك سيؤدي إلى تحقيق الهدف المنشود، إلا أن هذا العمل يشوبه الكثير من المخاطر التي تدفعه إلى أن يفشل مع مرور الوقت، لكل فعل يتعرض للنقد التجريبي فأنه على طريق الفشل؛ ففي حال ديمومة هذا العمل لعقد أو قرن من الزمن، ينتهي بالفشل والعودة إلى نقطة الصفر وخاصة أن العقد الزمني أو

القرن الزمني أي (١٠-١٠٠ عام) ليست فترة طويلة كما يتخيلها البعض، الامتداد الزمني وفق معامل الزمكان بطيء جدًا
المتحكم بالزمن يرى أبعد مما نرى؛ لذلك يجب علينا عدم الأخذ بالحلول المؤقتة؛ لأنها تفضي إلى تدمير دائم، صعوبة استيعاب الأمر لدى البعض، يخلق تخبطًا وتشتتًا داخل البيت اللاهوتي، إذ تتضارب المصالح وتطغى على اللاهوت مما يجعل اللاهوت حبيس أفكارٍ سياسية.
أدلجة الأفكار اللاهوتية هي مسألة نسبية لا تتصف بالمطلق؛ لأن المطلق حالة نادرة من الثبات التي لا تحدث في الأزمنة الحالية وثبتت صحة الفرضية الأزمنة الغابرة، التغيير يحدث خارج إطار المعامل النسبي المادي، أما في حال حدوث العكس ستتحقق الدينونة على الجميع دون استثناء.

السيد بروان:

- سوف تجد الشطر السادس أكثر وضوحًا

चयनिता जनाः मोक्ष प्रतीक्षन्ते	**الشعب المختار ينتظر الخلاص**

- الشعب المختار، الخلاص...
فكرة لاهوتية مجردة من التأويل والتأمل، فكرة لا يمكن نكران قداسها، من بين الأركان الأساسية في الفكر النبوئي، هي علامة

فارقة في تحقيق الخلاص عن طريق الانتظار، ومن ثم يأتي الخلاص وليس الخلاص المصطنع الذي تدفعني عليه سيد براون.

السيد براون:

- لست أنا من يفعل ذلك، أنت من تفعل ولا تشعر به حتى، هل تعتقد كان اختيارك اختيارًا مبنيًا على الصدفة؟

إن رابطة الظلام تسعى دائمًا إلى اتباع الأسلوب الانتقائي في اختيار أهدافها، إذ تتجنب الأسلوب العشوائي؛ لأنه يتعارض مع توجهاتها، هذه الحقيقة البائسة التي يجب أن تؤمن فيها وتعتقد بها، أنت من جعل نفسه عرضةً للاختيار، حتى وإن كنت على درجة عالية من الذكاء والتأثير، هناك أمرٌ آخر كان سببًا في اختيارك.

تفسيرك للأحداث غير منتقٍ ومقنع، يتحتم عليّ أن أتعامل مع كل شيء تقوله على أنه حقيقة واقعة لا مفر منها، قد تكون الواقعة تجريبية أو طوباوية؛ لكن الأخذ بها أمر ملزم لتفادي الأخطاء، بغية توحيد الأسس من منطلقات الإيكولوجية، السؤال الأهم كيف تحدد الاختيار في ظل الاعتراف المطلق بانعدام الكينونة الذاتية للأدلة الاستقرائية؟

إدوارد:

- الكينونة الذاتية تجسد ملتقى الأبعاد الحسية الشعورية (المعنوية الغير إرادية) مع الأطراف المادية التأصيلية، فلكل تأثير شعوري أثر مادي؛ يحدث نتيجة تصادم الأفكار الواقعية مع الرؤى اللاهوتية الطوباوية، ينتج عنها لوازم استقرائية تحلل البيانات الجزئية للأفعال الإرادية في داخل الصيرورة الزمنية، ومن ثم تعود المسألة بطريقة عكسية، أفكار غير منطقية؛ تنبثق منها رؤى أحادية الجانب تتسم بالعقلانية المطلقة، المطلق يأخذ حيزًا نسبيًا مطلقًا في محل عمل اللواقح التأصيلية للأفكار.

يكون الأصل في كل توجه، الاختيار بدرجة التأثير الناتج عن الأفعال الناجمة عنها أثار شديدة التغيير في أسس الاعتقاد الجزئي في أي مسألة كانت إيجابية أو سلبية، الغرض من تلك التوجهات والتغييرات التي حدثت، إحلال الاعتراف المسبق بدل الاعتراف الجازم بالوقائع الحتمية، يؤدي ذلك إلى الاختيار بطريقة عقلانية وفق الرؤى الاستقرائية، الأصل في الاختيار كان غير عقلاني؛ فقد أخذ طابع العقلانية الشعورية، حيث طغت عليه التأثيرات الخارجية، مما جعل الوعي يعتقد أن هذا الاختيار مناسبًا ليذهب به إلى أبعد نقطة وهي انعدام الثقة، حيث وضعت

النتائج التجريبية للأفعال سلفًا، إذ كانت العينة محل اختبار في ظل الاختيار، يمكن القول أن الاعتراف بوجود أسبقية نوعية، خلقت هالة من عدم الاعتراف الجزئي للكينونة الذاتية التي خلفت تراكمات أخلت في عملية اللاوعي.

رابطة الظلام، عملت على تلك الجزئية للوصل إلى نتائج أصولية للاعتراف بوجود ماهية لها، من خلال الاعتماد على انحسار الزمن، الديالكتيك يفسر الوقائع تبع الضرورة المحدودة والضرورة المطلقة، الضرورة تأخذ الحيز نفسه الذي انطلق منه الاختيار المحدود، كل فعل ناتج عنه أثر بعيد المدى في إطار مكاني محدود.

الشرط الأساسي لنجاح عمل تلك الضرورة، عدم تقيدها بسقف زمني، والتقيد يكون وفق المكان المادي المعلوم أو المبهم، وأن كان الأصل في ذلك المبهم الذي يأخذ طابعًا تراجيديًا، ما أخشاه أن تأخذ رابطة الظلام الضرورة المطلقة، يصعب التحكم فيها،

إذ يمكن العمل عليها في ظل وجود سقف زمني أو في حال عدم وجود سقف زمني، ويمكن أن تعمل عند تحديدها في مكان معين أو مبهم، تتخذ من الوقائع السيكولوجية والأيكولوجية

والسياسية أو الاقتصادية، أدوات لها لتحقيق الأهداف المطلق في المدى القريب أو المتوسط والبعيد تعتمد على درجة تباين الصراع والاحتدام والتجانس ما بين الظواهر بمختلف نوعياتها وتعدد مجالاتها، هي أشبه بثقب زمني قادر على ابتلاع مجرات في داخلة، وعند العمل عليها بطريقة مبتكرة تمنح فوائدًا كبيرة جدًا للمستخدم، المشكلة التي تعاني منها، أن التغيير الذي تحدثه لا يمكن إصلاحه؛ مهما طال السقف الزمني لمعالجته، تخلق أثار مدمرة، إلا أنها تستهدف نقطة ارتكاز الفرد وتحركه في محيطة المتمثل في اللاوعي، التحكم في الوعي يؤدي إلى مشاكل كبيرة، فكيف إذ تم السيطرة على اللاوعي، الأفكار المقدسة تصبح أفكارًا خاطئة مقدسة، يلزم اتباعها وعدم العدول عنها، فإذا كان الرب يتعامل مع شعبه برفق لما نحن ندفع بهذا الشعب إلى الهلاك، الانتظار هو الأصل في تحقيق الخير المطلق للجماعة السامية، وأن كل ما يحدث عكس ذلك هو شر مبطن يسمو على الخير ليحل الخير محل الشر، إذ أصبح الشر في محل صدق الخير والخير في محل الشر، وكل فكرة هي أخطر من آلاف البنادق، المعارك التي تحدث داخل الحروب يمكن تغيير شدة وطأتها، والحروب المستعرة التي تأخذ معها

آلاف أو ملايين الأفراد ممن لم يحق لهم أن يغيروا مصائرهم، دفعهم الخير لفعل ذلك.

الشر الكامل في اللاوعي خطر جدًا يصعب التحكم به، إذا أطلق البشر العنان للشر المكبوح، ينتهي الأمر إلى دمار جزئي في الموروث العقائدي، يولد انفصام بين الإيمان والاعتقاد.

الكفر يندمج مع الاعتقاد ويصبح الإيمان خارج الاستقراء المعرفي للأفراد، ويمكن القول أن الدفاع عن الكفر والذود عنه يكون هو الأصل في الكينونة الذاتية.

حرب الأفكار خطرة يا سيد براون، إذا تشوه الجسد يمكن إصلاحه؛ لكن الفكر الذي يُشوه، سوف يشوه أمة كاملة بعده، دراسة الأحداث ومعرفة درجة تأثيرها في الوقائع هو عملنا، والسعي إلى تقليل حدة خطورتها هي الهدف السامي لي سيد براون.

- أنا أتفق معك تمامًا يا إدوارد، لكن بعض الأشياء تحدث خارج إرادتنا.

يجب عليك أن تقرأ النص الأخير.

मोक्षः सिनाईपर्वतात् आगमिष्यति	سيأتي الخلاص من سيناء

إدوارد:

- أنها تعني: الارض المقدسة، الدماء الطاهرة، حضارة الأمن والسلام.

الرؤى اللاهوتية تحتم علينا التعامل مع الأمم على أسس وأبعاد برغماتية واقعية، تنطلق من الماضي وترتكز على الحاضر بهدف خلق تصور مستقبلي غير مبهم، حلفاء الأمس هم أصدقاء اليوم وأعداء الأمس هم أعداء اليوم. عليك يا سيد براون أن تعلم أمرًا واحدًا أن الوقائع التاريخية هي نتاج للجدل المتأصل في التاريخ، إذ يعد التاريخ عبارة عن حلقات منهجية قدمت لنا نتائجًا غير منطقية في إطار قوقعة الأفكار العقلانية.

الوضوح يعد من سمات الخديعة، الخديعة اللاهوتية تمثل النقد الغير عقلاني للتكوين الخلقي، من خلال التفسير المتجزئ من التاريخ، إذ تتدفق الأفكار المغلوطة إلى الوعي؛ ليصبح الاعتقاد الجازم في أي حقيقة مطلقة هو كفر مطلق.

السيد براون:

- إلى هنا انتهى عملي يا إدوارد؛ حللَّت أغلب الرموز وقدمت لك النصيحة، افعل ما تراه مناسبًا، لكن عليك دائمًا أن تجعل ثمن كل شيء صوب عينيك، بعض الأثمان تكون باهظةً جدًا، وطريقة سدادها بالغة الصعوبة.

الفصل الثاني عشر

بدأت سماع صوتٍ خافت:

- إدوارد... إدوارد... إدوارد، استيقظ لقد تأخر الوقت.

بعينين نصف مغمضتين، قال إدوارد:

- ما الأمر يا كاثي؟ لِمَ أنتِ على عجلة من أمركِ؟

- هل نسيت؟ عجبًا كم أنت رجلٌ مهمل! اليوم عيد ميلاد مارتن، ولا يزال لدينا الكثير من التجهيزات، يجب أن تساعدني بها.

- أعتذر، لقد نسيت الأمر برمته.

- لا عليك، أنت في كل مرة تنسى الأمور الهامة، ففي العام الماضي فعلت الأمر نفسه.

- رأسي يؤلمني جدًا، بالكاد أتذكر اسمي.

- انهض بسرعة، لقد أخذنا الوقت، يجب أن نضع الزينة في أرجاء المنزل، اخترت لك ملابسًا مناسبة للحفل، لدينا أصدقاء مهمين على قائمة المدعوين.

الجدة صوفي:

- مرحبًا إدوارد، كيف حالك؟

إدوارد:

- أنـا بخيـر عمتـي، أنـتِ كيـف حالـكِ؟ أرى إن مزاجـكِ اليـوم مختلف عن كل مرة!

الجدة صوفي:

- نعم، اليوم الذكرى الثانية لولادة الطفل الجديد.

إدوارد ساخرًا:

- الطفل الجديد؟ وهل هناك طفل قديم!

الجدة صوفي:

- كل طفلٍ يولد يكون له مصير مختلف عن بقية أقرانه، ويتحدد ذلك عبر تهيئة الظروف المناسبة له، التغيير في هذه العائلة قادم.

إدوارد متجنبًا للحوار:

- أنتِ على حق، أنا يجب أن أذهب لإلقاء نظرة على التجهيزات التي عمل عليها فريق مستقطب من مركز دالاس فورت وورث، بعد تفقد أعمالها، كان العمل يسير بشكل مرضٍ لإدوارد.

في الساعة السابعة ليلًا بدأ الحضور بالتوافد إلى الحفل، وقف إدوارد يرتدي بدلةً سوداء إرمينيلدو زينيا من النوع الفاخر، وتقف بجواره على السجادة الحمراء زوجته كاثي ترتدي ملابسًا من ماركة ديور، حضر إلى الحفل أصحاب شركات ورؤساء أموال معروفين، ومندوبين شركات إغاثية لتقديم المساعدات، كانت

حفلة مكتظة بالحضور، ما أثار غرابة إدوارد أثناء تقطيع كعكة عيد الميلاد لمارتن وضعت شجرة عيد الميلاد بالجهة المقابلة لضريح ال كوهين، وكان أغلب الحضور يرتدون بدلة من نوع برونيلو كوسنلي، ولم يحتسوا شراب النبيذ الفرنسي المعتق منذ (١٧٩٢م).

نهضت الجدة صوفي وقالت:

- ليبارك الرب الفرد الجديد

الابن الجديد

دماء جديدة

ومهام جديدة

أعمال منجزة وأخرى قيد العمل... مارتن حفيدي العزيز، لم يبقَ شيء.

انزوى إدوارد إلى زاوية لا يرى الحضور وبدأ يفكر بما يحدث، كان على يمين مارتن الطفل ذو العامين رجلٌ يرتدي قبعةً سوداء، حفل عيد ميلاد وهناك أشخاص يفعلون مثل ذلك، غريبي الأطوار!

بدأت مباركة مارتن، أحضرت الجدة صوفي قلادةً نُقش عليها شكل عين زرقاء، قالت:

- ليبارك الرب الوافد الجديد ويحميه في كل أعماله الملزم في القيام في العالم الجديد، بعد يوم النصر يحل الإله بركته في أحد أبنائه المخلصين.

ومن ثم عقدت كاثي يد مارتن وجعلته يتجه باتجاه القصر الملكي، رددت كلمات غريبة، بعدها طلب مني الحضور مباركة الوافد الجديد.

في الحقيقة أنا لم أعلم ما أفعل، لكن تداركًا للموقف همست في إذن مارتن بكلمات لم يفهموها، فنظر لي الجميع باستغراب ما فعلت قلت لهم:

- سر بين الأب وابنه.

وبعد قرب انتهاء مراسم الحفل، بدأ الحضور بالذهاب إلى منازلهم مقدمين المباركات لكاثي وإدوارد، ذهب إدوارد إلى ابنه ليراه ويداعبه قليلاً قبل النوم فلم يجده، سأل ميليسا:

- أين مارتن.

ميليسا هي الخادمة التي وكّل لها أمر الاعتناء بمارتن ورعايته

- عفوًا سيدي، لقد وضعته الآن في سريره، وأنا الآن عائدة من عنده، يغط في نوم عميق، طلبت السيدة مني عدم تغيير ملابسه خشية ازعاجه.

إدوارد:

- إذن سوف أذهب إلى غرفته ألقي نظرةً إليه.

وأثناء جلوسه بجانب مارتن، لاحظ إدوارد أن هناك قطعة ورقية دُست في داخل ملابس مارتن، مدَّ إدوارد يده ببطء وأخذ القصاصة الورقية، كُتب فيها:

(ذاهبون نحو الخلاص أو التخلص، يجب أن نحدد خياراتنا)

أجهش إدوارد بالبكاء، انتابته حالة هستيرية

عيون مليئة بالدموع

قلبٌ مليء بالخوف...

البؤس الذي أنا فيه تخطى معالم قدرتي على التحمل، ماذا سأفعل؟!

الخوف من المستقبل، عليَّ أن أفعل شيئًا حيال ذلك

أمي أنا بحاجة ماسة للتحدث معها، لكن هي لا زالت تخاصمني، ما عساي أن أفعل؟! سوف أتصل بها وليحدث ما يحدث لا يهم

- الو

- نعم، من معي؟

- الثعالب تجوب المقاطعة، الهروب هو طريق النجاة.

سالومي:

- لِمَ اتصلت بي يا إدوارد؟

بصوتٍ مليء بالحزن والألم:

- أنا متعب جدًا يا أمي، الألم يحتاط بي من كل الجوانب، لا أعلم ما عساي أن أفعل، اليوم مرت عشر أعوام على خصامكِ، أنا بحاجةٍ لكِ.

الفصل الثالث عشر

- حفيدكِ مارتن بلغ الثانية من عمره، يسأل عنكِ.

سالومي:

- لا شأن لي بك ولا بأحد ممن حولك.

إدوارد:

- لكن يا أمي سوف يقتلون مارتن!

بصوتٍ خافت مليء بالقلق قالت:

- من يقتل من؟ وماذا فعلت أيها الأبله؟ مازلت كعادتك صعب المراس، أعان الرب كاثي عليك.

وكأن قلب الأم رق بعد سماع صوت مارتن يبكي.

مليسيا:

- أرجو المعذرة سيدي، أنت تزعج السيد بصوتك، أعتذر على التدخل.

وقف إدوارد على الشرفة، وسأل والدته، ما عساه أن يفعل، قالت له تلك العبارة التي قالتها قبل عشر أعوام:

- نحن ولدنا لنحقق أقدارنا ولا يمكن لأي شخص أن يفر من قدره، كتب علينا فعل أمور جمة لا نرغب بها، لكن الضرورة

تدفعنا لفعل أشياء نكرهها، الاختيار صعب جدًا، يجب أن لا تدخل نفسك في عنق الزجاجة.

- ماذا حدث لشقيقاتي؟

بصوتٍ غاضب:

- وكأنك تهتم! شقيقتك الكبرى بريديجت تزوجت من شخص كاثوليكي لعين يضربها صباحًا ومساءً، وهي تعيش الآن في موناكو، انقطعت أخبارها عني ولم أجد سبيلًا للتواصل معها، لكن لم يجدِ الأمر نفعًا.

أما ماريا فهي تعيش الآن مع زوجها جوش في أورشليم، انتقلت قبل شهرين، وأنا الآن أعيش وحدي.

- تعالي اسكني معي.

- أنت أحمق! لا أستطيع أن أعرض شقيقاتك للخطر، وأيضًا من المقرر أن أذهب في نهاية نوفمبر إلى ماريا وأكمل حياتي في أرض الآباء؛ للحفاظ على الوعد الذي قطعته لجدك، أن أكمل حياتي حيث السلام الداخلي.

- ماذا أفعل؟

والدموع تغرق عينيه:

- أخشى أن يصيب ولدي مكروه.

سالومي:
- هل علمت لِمَ كنت أعاملك بتلك القسوة؟ من سمات البؤس التي تقتل المرء وهو على قيد الحياة هو التخلي، تجبرنا الحياة على اتخاذ قرارات حلولها مُرة.
- أسف يا أمي، كنت شابًا طائشًا حينها، لطالما عملتِ بأقصى جهدًا ممكنًا للحفاظ على العائلة، من الأخطار المحدقة، يجب أن أفعل ما يطلبوه مني.
- افعل ما يأمرونك به، وافتعل الإيمان.
انقطع الاتصال... قالت ليَّ أمي افتعل الإيمان، هل كانت تقصد أن أكون شخصًا مراوغًا.
هي طلبت ذلك مني؛ لأنها تعلم أنني لا يمكن أن أفعل أي شيء يتعارض مع إيماني الفردي المطلق؟
إذن، تجزئة الإيمان أمر مباح، لقد غفلت عن أهم نقطة، الإيمان اعتقاد فردي مبهم لا يستطيع أحد أن يستقصي وجوده بالتجربة المادية، الكينونة هي تأصيل مجرد لما يكمن في قعر الإنسان، أن تقول شيئًا وأنت تعارضه هو أمر غير منطقي، لكن أن تتبع أسس ومناهج مختلفة في إدارة الإيمان يعد أمرًا عقلانيًا

العقلانية الجزئية، مطلب أساسي للوجود المادي، الصدق المطلق يعارض كل ما هو مطلق ومبهم في عولمة النظام الإنساني.

الصدق النسبي لا يتعارض مع الأحداث المطلقة، التعامل على أساسه يحمل مرونة أكبر من المطلق النسبي،

تجسيد الأصل في التعاملات اللاهوتية، إذ وضعت القوانين اللاهوتية بما يتناسب طرديًا مع فكرة الإيمان الإنساني، ومن الصعب جدًا أن يصل الإيمان الإنساني إلى درجة الكمال المادي، أذ يأخذ الحيز المعنوي في الإيمان الخلقي درجة أكبر من الإيمان المادي، الأول لا يتعارض مع الأصل المادي؛ لأن درجة قياسه مستحيلة من خلال استخدام طرق التحليل التجريبية أو حتى الاستقرائية، ففي بعض الأحيان تستخدم الطريقة الاستقصائية للوصول إلى نتائج ملموسة للفعل المادي الغير مدرك؛ لمثل هذه الطريقة تؤدي إلى نتائج تفيد الرجحان، بمعنى أن النتيجة تكون طوباوية في أغلب الأحيان، مما يدفع المحللين أو حتى الخبراء دراسة الإيمان المادي؛ إذ يمكن معرفته ودراسته مع الوقت وتحليله، للخروج بنتائج مباشرة، هذه النتائج تفيد اليقين المحسوس.

اليقين لا يمكن أن يكون قطعيًا، لاهوتية الاتباع تكون من خلال ممارسة الشعائر اللاهوتية، صدق المعاملة في هذه الشعائر تكون نسبية؛ فقد تجد يهوديًا يؤمن بنبوة يسوع ويتعامل على هذا المنطق والأساس، لكن كينونته الداخلية لا يمكن الاستقصاء عنها، وأن كان يعيش في كنف بيت مسيحي، الإنسان يكون عرضة للتغيير في ظل البيئة المحيطة، وخاصة أن التأطير الفلسفي للاهوت يتعمد على قلة التجربة والخبرات لدى الفرد الناشئ في محل قياس الجماعة العينية، صعوبة التحكم في الانفعالات المعنوية، تؤدي إلى نتائج مادية ملموسة.

الفصل الرابع عشر

توقيع العقد مع كرودوس

فرنسا... إمارة موناكو

الساعة ٩:٤٨ صباحًا

في يوم ضبابي التقى السيد **ريتشارد** أصدقائه القدامى(**ماركوس برنارد، ماثيو غولوفسكي ، بيار راتشوفسكي**) في إمارة موناكو بعد فراق طال عشرين عامًا، كانت هناك أحاديث طويلة ومنسية تجوب الأذهان، كل شخص فيهم تحدث عما حدث له، وفشله الذريع وتخليه عن أحلامه، إلا ذلك الحلم الذي تمسك جميعهم به، فقد قال لجد ريتشارد:

- هل مازلتم متمسكين بذلك الأمل أم أصبحتم نساءً كبيرة في السن يصعب عليها ممارسة الجماع هه هه هه هه؟

أجاب الجميع بحسرة:

- وهل هناك أمل أن نصل إلى الأمل المنشود؟

الجد ريتشارد:

- نعم، يجب أن نحصل على تأييد من القوى الكبرى لإتمام المهمة، لكن يجب أن نؤثر فيهم، يجب زعزعة الأنظمة التي

يمارسون بها جبروتهم، هيا ماثيو هل ما زالت لديك تلك المخطوطات؟ العلامات التي تحصلنا عليها من الحكومات السابقة؟

ماثيو:

- بالتأكيد لازالت معي، أنا محتفظ بكل شيء عن تلك الايام الخوالي، لقد مررنا بالجحيم نفسه، كيف لي أن أنسى هكذا أمور مهمه أو أفرط بها؟

الجد ريتشارد:

- يجب علينا تنظيم رابطة تساعدنا في مهامنا لإتمام عملنا.

ماركوس:

- أعتقد أن ريتشارد أصبح طاعنًا في السن، أنت تعلم لا أحد يرغب في التعامل معنا، وجميعكم يعلم ما حدث قبل عشرين عامًا، هل أنتم قادرون على دفع الثمن أضعافًا مرة أخرى؟

الجد ريتشارد:

- الأمة الخائفة لا تصنع المجد يا أخرق! هذه فرصتنا، العالم يشهد تغييرًا في معالمه، هناك الكثير من الأصدقاء يرغبون في مساعدتنا، لتحقيق أهدافنا.

بيار:

- إذن ماذا سوف نفعل الآن؟

الجد ريتشارد:

- الخطوة الأولى، العمل على إيجاد تنظيم سياسي أو اقتصادي يمثل توجهاتنا، وهذا الأمر دعوه لي، أنا من يكفل العمل بذلك.

بيار:

- أنا أتفق مع ريتشارد، دعونا نطلق العنان لأفكارنا، نحن ثلة رجال خرفين نبحث عن سراب في وسط الصحراء، إن وصلنا فأن الأمر يحسب لنا، وأن لم نصل سنكون قد حاولنا لأخر رمق، أنا سئمت العيش خائفًا من المستقبل، مترددًا في فعل أي شيء، كل تلك الأمنيات نحملها على أعناقنا، هي سبيل للخلاص الذي طال انتظاره.

الجد ريتشارد:

- يجب أن تعلموا أن المبادئ التي نشأتم عليها هي كذبة خرقاء زيفت الحقائق، يجب أن نعمل من أجل هدف، يبيح لنا هذا الهدف استغلال الأعمى، وأن يجعلنا نسمع الأطرش، ونفهم الأصم.

السلاح باقة زهور، الدماء سيل من المياه الراكدة، اللاهوت أداة للوصول

الحقيقة منفى
الصدق صديق سوء
الكذب محبب
الخديعة ذكاء
الاستغلال مجد
المكر دهاء...
ماثيو:
- لماذا يا ريتشارد نفعل ذلك؟ نستطيع أن نصل بالطريقة السهلة، تشجيع الآخرين لمساندتنا، وأيضًا اللاهوت إذا أصبح أداة سوف يغير من أصل وجوده، ويصبح لا نفع منه.
ريتشارد:
- وهل تعتقد أن الآخرين مستعدين للتضحية من أجلي وأجلك؟ لا يهمني الاعتقاد والإيمان وحتى الخلق والتكوين، يهمني هدفٌ واحد هو الخلاص بأي طريقة، فأن كان الكفر طريق للوصول لفعلت ما أعظم من الكفر.
يجب أن تعلموا نحن الآن أمام مفترق طرق أما الوصول أو الوصول، لا تعنيني مبادئكم وإيمانكم الجاشم على صدوركم النتنة المليئة بالخمر، تدعون الإيمان وأنتم فاسقون؛ في الأمس يا

ماثيو كنت تضاجع فتاة لم تتجاوز الثالثة عشر من عمرها، هذا ما أخبرني به بعض الأصدقاء وأنت رجل في الستين من عمرك، عن إيمان تتحدث!

ماركوس:

- يجب أن نتخلى عن الإيمان المادي للوصول للهدف المرجو.

بيار:

- أنا أتفق معكم يا أصدقاء، لكن يجب أن نغير بتلك المخطوطات بعض الإضافات؛ فأنا كما تعلمون، كنت أعمل في جهاز المخابرات، وهناك أحداث سوف تحدث، إذا ذكرناها سوف تحقق لنا تأثيرًا داخل المحيط الذي نرغب به بالإمكانيات والقدرات المحدودة لنا.

ريتشارد:

- سوف يكون اسم المنظمة هي منظمة السلام.

ماثيو:

- لا، دعها تكون رابطة الظلام.

ريتشارد:

- لماذا؟

ماثيو:

- إذا أطلقنا اسم منظمة على التجمع الذي نرغب في العمل عليه، سوف يأخذ حيز أهداف منظمة يكتنفها التغيير المحدود في إطار قانوني أو سياسي معين، لا يتم للاهوت بأي صلة، مما يجعلها عرضة للاضمحلال مع مرور الوقت، أما الرابطة تتمتع بحيز أبعد يتأصل في الجوانب السيكولوجية للاهوت، تحمل شعارات خالدة في التاريخ: الدم المقدس، الكأس المقدسة، التضحية، الثعبان والكأس المسمومة...

السلام جزء معنوي ينتج من عدم التأثر في البيئة المحيطة بالعوامل المادية، والمنظمة تنظيم فعال في نفس البيئة تتعرض للتغيير في ظل تقلب الزمكان، المادية النقدية تذهب بالسلام نحو العداء، ليصبح السلام مزيفًا في أصله والعداء هو السائد في الأبعاد الوجودية.

أما الرابطة فهي مقدسة، الانتساب إليها يمثل ثلة الأخيار ممن رغبوا في تغيير واقعهم الحالي نحو واقع أفضل وأجمل، هنا سوف يتحدد أعضاء الرابطة مرتبتين: الأولى تمثل ممن لهم مورفولوجيا، أما الثانية الارتباط السياسي.

الأولى: يمثل الأصل في وجود الرابطة، ويقع الاختيار عليهم عنوة.

الثاني: يعد الفرع الذي يحدم الأصل، اختيارهم يكون انتقائيًا من الأفراد الذي حصلوا على علامات التمييز والتقدير في حياتهم.

ريتشارد:

- فعلاً، طرحك كان في محله يا ماثيو، التنظيم نفسه الذي تم عليه سابقًا، سوف يتم العمل عليه حاليًا، لكن بطرق مبتكرة وحديثة تناسب الواقع الحالي لها.

ماركوس:

- نعم، أنا أتفق مع طرح ماثيو، لكن يجب أن لا تغفل عن قنوات نقل الأعضاء، وآلية التعامل معهم سوف تكون محفوفة بالمخاطر المحيطة من الداخل والخارج، إذ من الممكن أن ينتسب من هم لهم العداء لفكر الرابطة، مما يستوجب وضع نظام حماية فعال للحفاظ على وجود الرابطة.

بيار:

- نبدأ في تجنيد الأبناء ومن ثم الأحفاد عبر توقيع العقد المبرم بالدماء المقدسة، يتم التنازل عن كل الحقوق للرابطة بموجب العقد المبرم، ويربط هذا العقد مع كردوس، ليصعب التخلص منه.

ريتشارد:

- توقيع... نحتاج إلى قربان، يجب أن تتم التضحية في أشياء غالية الثمن.

ماثيو:

- ما نوع التضحية؟

ريتشارد:

- يجب أن تسكب الدماء الطاهرة قرب المذبح؛ للوصول إلى الخلاص، أثمن الأشياء تمنح النصر العظيم، عقد كرودوس ثمنه بالغ جدًا، تقول الأسطورة أن تتعامل مع ملك العالم السفلي يجب أن تبذل قصارى جهدك للوصل إليه.

بيار:

- أنا أفهم من كلامكم أن التضحية بالأبناء.

ماركوس:

- هل جننتم؟ كيف نمضي العقد بثمن كهذا يا رفاق!

ريتشارد:

- لم تمضِ أي عقد؛ فقد أمضيت سلفًا.

ماركوس:

- كيف حدث ذلك بحق الجحيم! ليس ليّ سوى طفل واحد أما أنت فلك أربع، لِمَ عليّ أن أضحي من أجل جماعة بائسة؟

ريتشارد:

- لقد ذهبت في الأمس ووقعت العقد عن طريق أخذ عينة من دمائكم، قبل أن يأتي الجميع طلب من الجميع إجراء فحوصات للتأكد بعدم إصابتكم بمرض الطاعون، لكن الحقيقة غير ذلك، التضحية جرت بأثمن الأشياء (التضحية بكلٍ من ادموند ولدي، وألبرت ابن ماركوس، وجوثام ابن ماثيو، وماركس ابن بيار).

بيار:

- لكن عمر ماركس (١٢ عام) لا زال صغيرًا جدًا، من قال لك إنني أرغب التضحية، ماذا فعلت يا أحمق!

بدأ بالصراخ:

- دعوني أقتل هذا الغبي، ولدي ماركس!

ماثيو:

- ليتك لم تفعل يا ريتشارد، لقد تزوج جوثام قبل شهر واحد، آه...آه، ما فعلته لا يغتفر، الأمر لن يتوقف عند هذا الحد.

ماركوس:

- حتى بعد التضحية لن يدعنا وشأننا، تبًا لك ريتشارد... كرودوس اللعين!

ريتشارد: التضحية ثمن للجهود نحو الخلاص، ليس من المنطق أن أكون أكثركم عقلانية وقد ضحيت بأبني الصغير ادموند الذي لم يتجاوز الخمسة عشر عامًا، التضحية من أجل عمل تحقيق أعمال الرب، نحن المختارون يا رفاق، يجب تحقيق النبوءة، في كل الأحوال سوف يموت أبنائكم يومًا ما لأسباب تافهة أو يقتلون على يد الأممي، ليبارك الرب الدماء الزكية، والأرواح المقدسة، عندما نقول الرب اختارنا من بين الأمم والشعوب نحن مميزون، يجب أن نثبت ذلك، كل يوم يقتل أحد أحبائنا وأقربائنا.

الموت فكرة ثابتة في الوجود، الرضا وعدمه على الموت مبني على الأنانية التي تتحلى بها النفس البشرية، عند التقدم يجب عليك عدم الالتفاف إلى الوراء؛ لأنك ستخسر لا محال، الجميع يضحي طيلة الوقت بطريقةٍ أو بأخرى، عملنا طوال سنين لكسب المال، ألم تكن تلك تضحية للأبناء ليعيشوا بسلام.

الفصل الخامس عشر

انعدام الحلول يولد الاختيار، قرر إدوارد أن يمضي في إتمام المهمة التي وكلت لهُ بدون قيد أو شرط مسبق، يجب العمل على الخلاص الذاتي من تلك اللعنة التي وقعت عليه، في بعض الأحيان تشعر وكأن العالم أثقلك بالهموم، لا تعلم ما تفعل وما ستفعل، تخبط المشاعر يدفعك إلى تحديد أفضل الخيارات.

الفلسفة واللاهوت لا يجتمعان في صدرٍ واحد إلا وأحدثا نقيضًا في تحديد ماهية الاختيار، أسوأ ما يمر به الإنسان أن يتحتم عليه المضي في طريقٍ وعرٍ جدًا، أن يكون وحده من يعلم ويفهم ما يقع حوله من أحداث، فإذا أصبح الصمت لغةً للكلام يفقد الكلام جوهر وجوده.

طبيعة الخلق لا تنتقد نقدًا ذاتيًا، إذ تحل التصرفات المادية محل الذات، العناية الإلهية هي المجال الأوسع للحفاظ على الأمان في الوجود المبهم والمعلوم.

عالم ما بعد الموت عالمٌ محفوفٌ بالمخاطر يكتنفه الغموض المادي، الأصل فيه يكون من خلال الاعتراف بأسبقية نوعية لوجود هذا العالم، أفضل من عدم التسليم به، الوقائع الطبيعية

وفق الرؤى الميتافيزيقية تبحث في أسس التكوين الخلقي. الاحداث التي طرأت منذ بدء الخلق والتي ستحدث إلى يوم البعث العظيم، توجب علينا عدم المساس بالمبادئ اللاهوتية التي تعبر عن المكنون الذاتي للأنا الفردي السيكولوجي.

وأثناء جلوس إدوارد في حديقة المنزل وبعد تفكير عميق، رأى كاثي فأشار إليها أن تأتي إليه، وطرح عليها سؤالًا:

- يا زوجتي العزيزة، ماذا سوف تختارين أن وقع عليكِ الاختيار ما بين التخلي عن الماهية اللاهوتية أو الماهية المادية، والتوجه قائم على حتمية الاختيار؟

كاثي:

- الاختيار في الأصل لا يكون على أساس مادي، خاصة أن الوقائع المادية تحكمها رؤى تراجيدية محسوسة أو غير محسوسة نتجت عن عدم الاعتراف المسبق أو الاعتراف المسبق بأحداث مادية أو غير مادية، بناءً على تصورات طوباوية تقع في مجال الشك واليقين المادي والمعنوي، ليس كل ما ترى هو حقيقة وليست كل حقيقة هي واقع.

الماهية اللاهوتية، خصائص فعلية اكتسبها الأفراد عبر التنشئة الاجتماعية، دحضت وعززت عن طريق التجربة التي خضع أو

يخضع لها الأفراد عبر الصيرورة الزمنية، تنتج عنها تغيير في الاعتقاد، التغيير إيجابي وسلبي في البيئة المحيطة، إذ تتقبل البيئة هذا التغيير بفعل تناسب التغيير مع الرؤى التي تتطابق مخرجاتها مع الرؤية اللاهوتية الجديدة، لكن في الأغلب تكون لها مردودات عكسية سلبية؛ لأن الماهية الجديدة تتعارض كليًا أو جزئيًا مع الرؤى القديمة مما يدفعها إلى التصادم، التصادم الناتج عن الرؤى ينتج عنه اتجاهًا ثالثًا راديكاليًا؛ لأن الأول يتسم بواقعية الوجود المادي واللاهوتي، أما الثاني يأخذ حيزًا فلسفيًا إحلاليًا مع الروية الأولى التي لا تقبل بالتغيير الجزئي أو الكلي، ما بين العقلانية والفلسفية تنشأ أفكار ترفض أحدهما رفضًا قطعيًا، إذ يصل الأمر إلى الاقصاء المباشر بهدف ثبات وتفنيد إحدى الرؤيتين.

الماهية المادية، تتمثل في الخصائص التي يكتسبها الجنين من والديه مثل الهيئة والطول ولون البشرة، غير قابل للتغير المطلق، وتتأثر بتأثير البيئة المحيطة بفعل الامتداد الزمني الحاصل في المجال المادي، التغيير يحدث في معالم الجسد ولا يصل إلى أسس الروح التي تقبع فيها الرؤى اللاهوتية، لكن التأثير الداخلي لهُ نتائج على الوعاء الذي يحمل الأفكار.

إدوارد:
- هذا هو الأمر إذن.
كاثي:
- ما الأمر؟
- ماهية الاختيار بغض النظر عن شكلها هي التي تحدد توجهاتنا المادية بفعل التأثيرات الداخلية، أليس كذلك يا كاثي؟
- نعم، هي التي تدفعنا إلى الاختيار بفعل عوامل إرادية تخرج من الداخل.
ميليسا:
- سيد إدوارد، هناك شخص على الهاتف يريد التحدث معك.
إدوارد:
- نعم، سوف آتي حالًا.
- الو
- من معي؟
عضو في رابطة الظلام:
- مرحبًا سيد إدوارد، ما هو قرارك؟
إدوارد:
- بخصوص ماذا؟

- الخلاص أم التخلص؟
- فكر قليلًا، الخلاص بالتأكيد، لكن لم أعرف ما هو اسمك!
- أنا توم، وتسطيع أن تناديني باسم طائر العنقاء، الآن عليك أن تستعد للذهاب نحو أورشليم، الأخوة ينتظروك بفارغ الصبر، قدِّم استقالة من جامعتك، سوف تعمل في مركز أبحاث (A-SH-M)، لا تقلق الرابطة سوف تتحمل كافة تكاليف معيشتك وتدبير أمورك.

الفصل السادس عشر

إدوارد:

- ماذا سوف أقول لكاثي؟ وكيف لي أن أقنعها بالذهاب؟

العنقاء:

- لا عليك، تحدث معها سوف تكون الأمور على ما يرام.

انقطع الاتصال.

عاد إدوارد شاحب الوجه، لا يعرف ما يقول لكاثي، وإن عليهم أن يرحلوا من الولايات المتحدة إلى أرض الرب

كاثي:

- ما بك إدوارد؟ أراك قلقًا جدًا، ماذا حدث؟ هل هناك خطبٌ ما حدث؟

- لا، لم يحدث شيء، لكن وجدت عملًا جديدًا ويتوجب عليّ ترك عملي الحالي والذهاب إلى أورشليم.

- لكن لِمَ لم تخبرني من قبل؟ ومنذ متى وأنت تتخذ القرارات وحدك من دون أن تخبرني بشيء؟

- الأمر حدث على عجلة ولم أجد الفرصة المناسبة للتحدث في هذا الأمر.

- لا عليك، افعل ما تراه مناسبًا، أنا أثق بك تمامًا وأعلم أن قراراتك مناسبة.

- شكرًا كاثي...

في صباح اليوم التالي ذهب إدوارد إلى جامعة منهاتن وقام بتقديم استقالة من العمل، من دون أن يعطي للجامعة مبررًا مقنعًا واحدًا، بعد شهر رتب حصل على تذكرة طيران للسفر، بعد أن رتَّب كل شيء مع الرابطة التي تكفلت في توفير كافة المستلزمات التي كان يحتاج لها إدوارد وعائلته للعيش في حي "مئاه شعاريم"، حيث كانت تسكن والدته وشقيقته ماريا وزوجها في حي "بتي براك" قريب من سكن إدوارد، بعد انتقالهم حملت كاثي بطفلهم الثاني جايكوب، إذ أدخل مارتن روضة بعد بلوغه الخامسة من عمره، أثناء عمل إدوارد في المركز كان منهمكًا في فك الشيفرات اللاهوتية مع مجموعة من الخبراء، رأى شخصًا مألوفًا، نظر إلى إدوارد وابتسم

تساءل إدوارد: كيف أتى إلى هنا وماذا يفعل؟! أ يعقل كان هو السبب؟! السيد براون! ماذا تفعل هنا وأين ولِمَ وكيف...؟ ملايين الأسئلة تدور في مخيلتي، هل كانوا إلى هذا الحد بمقربةٍ مني؟

يا إلهي كم أن هذا العالم مليء بالأشخاص المزيفين! كان حدسي في محله، لم أرتح له منذ البداية.

السيد براون:

- أنا لست بروان، أنا العنقاء

- العنقاء! لِمَ لم تخبرني منذ البداية؟ كنت قد وفرت عليّ الكثير يا بروان.

علينا العمل على فك هذه الطلاسم للوصل إلى حل الشيفرة التي تساعدنا للوصل إلى أعمال وتوجهات أهل الشرق، البيئة المناسبة تحتاج مناخًا مناسبًا، مرحبًا بك يا إدوارد سوف تراني كثيرًا، للأسف أنا مدير الفرع! لا تنسَ أوصل سلامي الحار إلى كاثي ومبارك الوافد الجديد؟

بعدها أنجبت كاثي طفلهما الثاني جايكوب، تيمنًا باسم جدها، تعاقبت الأحداث المتسارعة وبدأ إدوارد يخشى أن تسيطر الأفعال المادية التي يقوم بها على الإيمان الكامن في داخله، إذ بدأ بين الحين والآخر يجلس وحيدًا ينظر إلى المسجد الكبير حيث المقتل الأول، ويرى حدة الاختلاف اللاهوتي في تحديد الكثير من المعالم اللاهوتية، مما جعله يعتقد اعتقادًا جازمًا أن مع مرور الوقت سوف تنهار تلك المملكة التي بُنيت على

الكذب والخديعة والإغواء، فلا يمكن أن تستمر أي كذبة عن طريق استخدام أسلوب الإكراه، كان يخشى على مارتن أن تؤثر عليه تلك البيئة المتضاربة على بعضها في رؤية مارتن اللاهوتية المستقبلية.

الأفكار مثل البذور تنشأ في ذهن الأفراد مع الوقت يصعب جدًا التخلص منها أو حتى إيجاد بدائلًا لها، قال إدوارد ناقدًا نفسه: وكأني أعيش في عالمين متضادين في المبادئ والقيم، العالم الأول أحببته بصدق ولا أرغب في الابتعاد عنه.

أما الثاني فقد فُرض عليّ ويجب أن أكمل الطريق، جُل ما أخشاه أن يكون الأول هو الثاني لمارتن، وأن يكون الثاني هو الأول، مجرد التفكير في ذلك يجعلني أشعر وكأن أحدهم رطم رأسي على الأرض!

الفصل السابع عشر

الأرض الفاسقة

إمارة ملوك الجن

دخل إلى غرفة مارتن، كانت الأوراق مبعثرة على الأرض وعليها الألوان، فقد كان مارتن منهمكًا في الرسم، نظر مارتن إلى والده وقال له:

- انظر يا أبي هل رسمتي جميلة؟

- لِمَ ترسم يا مارتن؟

- أبي، لقد طلبوا منا أن نرسم بعض اللوحات الجميلة، غدًا الذكرى الرابعة للاحتفال في عيد "هاعتسمؤوت".

نظر إدوارد إلى الرسمة التي رسمها مارتن، كان شكل رجل بدين وقصير ويلبس قبعة سوداء، استغرب إدوارد وسأل ابنه:

- من هذا الذي رسمته؟

- هذا قائد الأخيار الذي سوف يحررنا من العبودية.

صُدم إدوارد كيف لطفل لم يبلغ الخامسة من عمره، ولم يمكث سوى أربعة أشهر في أورشليم أن يتعلم بسرعة هذه الأمور وأن يمتلك الحجج!

- لوحةٌ جميلة، أحسنت يا مارتن.
عاد إلى الغرفة يمشي بخطوات ثقيلة وكأن أحدهم دفعه من فوق قمة جبل شاهقة لا يعلم ما يفعل، وعند باب الغرفة سمع صوتًا غريبًا، وكأن كاثي تتكلم مع أحدهم...
" قلت لك سوف يكون الأمر على ما يرام، لكن لا أستطيع أن أخبر إدوارد بتلك الحقيقة، في بادئ الأمر ظننت أنني لا يمكن أن أحبه، لكن الآن اختلف الأمر لديَّ طفلان وعائلة جميلة، يجب أن تخبروه بطريقةٍ أخرى، سئمت من التمثيل طيلة هذه المدة؛ تأنيب الضمير يكاد يقتلني".
تساءل إدوارد: هل تخونني كاثي؟! لا، أمرٌ لا يعقل، إذن ما السر الذي أخفته عني وتخشى أن أعرفه؟!
دخل إلى الغرفة ونظر إلى كاثي خائفًا مترددًا مما سوف يسمعه، يخشى أن تكون الحقيقة مؤلمة أكثر مما يتصور ويخاف في الوقت نفسه من تلك الحقيقة، قال:
- ماذا هناك يا كاثي؟ لِمَ صوتكِ مرتفع؟ وهل ما سمعته كان حقيقة؟ أخبريني بسرعة ماذا يحدث بحق الجحيم! سئمت من كل الألاعيب، قولي لي، يجب أن أعلم ما يجول في مخيلتكِ.

- اهدأ سوف أخبرك كل شيء، فقط يجب أن تهدأ أخشى أن تيقظ جايكوب.

بصوتٍ غاضب تعتليه الغيرة والشك:

- وما شأني! أريد تفسيرًا بسرعة.

- نعم، سوف أخبرك كل شيء، لكن اهدأ أرجوك...

بصوتٍ خائف أردفت:

- هل تذكر أول لقاء لنا في بريطانيا؟

- نعم أذكر في جامعة لندن، لماذا؟

- أنا لم أكن أعرفك قبل أن نلتقي.

إدوارد:

- نعم!

كاثي:

- كلا، كنت أعرفك.

- لحظة... كيف؟ كنتِ تعرفينني وأنا لم أكن أعرفكِ في الأصل!

- كانت مهمتي أن أصل إليك وأجعلك تقع في حبي.

- إذن أنتِ تنتمين أيضًا إلى رابطة الظلام؟

- نعم، لكن الأمر معقد قليلًا، أنا لم أتمنَ أن تعرف؛ لأنني كنت أخشى ردة فعلك، لقد حدثت الأمور خارج عن سيطرتي،

أجبرت على فعل ذلك، في الأول كنت أسعى إلى خداعك، لكن الآن أنا أحبك بحق.

- أنتِ لم تحبني مطلقًا يا كاثي، كمية الخيبة التي أشعر بها الآن تفوق طاقتي وتحملي، لم أعلم أن المرء قد يُشنق بكلمة ويقتل وترمى جثته على عتبات الطرق، ليتني لم أُخلق، هل كنت أستحق ذلك يا كاثي؟ أعلم أن الأمر لم يكن يهمكِ، لكن كان هذا قلبي! يُقتل الإنسان من الأماكن الأكثر أمانًا، لم أشعر بذلك الخذلان الذي يعتريني، يكفي أن أصرخ صرخةً تيقظ من كانوا في العالم السفلي...

لحظة هذيان أثناء السير في الطرقات المظلمة. تجد الأمان أكثر من الطرقات المضيئة بالأنوار، تشعر وكأن العالم أجمع يعلم بتلك الخيبة التي تعرضت لها، تنغمس في الظلام شيئًا فشيئًا، تتمنى أن تختفي تدريجيًا، العار الذي لحق بك يجعلك تؤمن أن الإيمان بحد ذاته لا نفع له، كل الأشياء التي أمنت بها قتلتني، أخشى أن أؤمن بشيءٍ آخر وفي النهاية يظهر بأنه هرطقة زائفة.

لم تؤلمني الحقيقة، لكن المؤلم كان إخفاء الحقيقة، وأنا كنت أخشى عليهم من أن يعلموا بخطر الحقيقة التي ستحقق لهم

الأذى، أنا كنت غبيًا بحق، لم أشعر أن كل ما يدور حولي من أحداث مبهمة هي إشارات من أجل أن أعلم أن هذا خطأ.
إذا أحب المرء من صميم قلبه أصبح شخصًا أبلهًا معتوهًا فاقدًا إرادته، يضع المبررات الخيالية للأشخاص الذين يحبهم، عندما تكون عيناك مغمضتين يجب أن يسطع نور الحق في عقلك للجسد عقل وللقلب عقل، إذا احتل الأخير سقط الأول مهزومًا ومذلولًا، كم أتمنى أن أكرهكِ يا كاثي، خدعتني طوال تسعة أعوام! كيف يستطيع المرء أن يكذب على من يحب وهو مبتسم، فعلًا لقد بدأ الأمر لا مفر لي من الخلاص، يجب أن أظهر الشر الذي يرغبون به، أن تكون من الأخيار في عالم سيء هو أمر صعب جداً، لكن أن تظهر الشر في هذا العالم، هو أمرٌ سهل.
سوف يدفع الثمن الجميع
رابطة الظلام
كاثي
أمي
أبنائي
الجماعة اللاسامية...

جميعهم اشتركوا في خداعي، كانت منذ الوهلة الأولى تخدعني، لكنني كنت مغفلًا لم ألاحظ؛ النجمة الخماسية على يد الحارس، ووشم الثعبان على معصم مدير المشفى، العيون الشاحبة في منتصف الليل، الرداء الأسود، الإيمان المفتعل، الرموز المخفية، الرغبة في الرحيل إلى أورشليم من دون تدقيق.

أثناء السير في الطريق المظلم، صرخ أحدهم بصوتٍ عالٍ جدًا:

- لم أفعل ذلك، لم يكن ذنبي، لقد خدعوني.

تريث إدوارد بالمشي ونظر إلى مكان الصوت، وجد رجلًا كبير السن يحتسي الخمر ويردد كلمات:

- إياكم أن تأتوا إلى هنا.

(الجحيم تلفظ أنفاسها الأخيرة، سوف تحل لعنة كرودوس)

يتغير الإنسان في حالتين أما أن تكسره الحياة، أو عندما يكسر قلبه، يصبح عندها شخصًا آخر، اختفت ملامح الرحمة من إدوارد، بدأ يفكر في الانتقام، فقد عاش وهم طيلة تسع سنوات، وأن كل ما حدث له كان مخططًا له مسبقًا.

قد يدفن الإنسان لمرة واحدة لكنه يُقتل آلاف المرات، فعلٌ واحد يكفي أن يُنهي عامًا كاملًا عليك بالبؤس والألم، لا أحد يشعر بما مررت به، فقد يريدون منك أن تبتسم من دون أن تظهر

ما يوجعك، وأن وجدك أحدهم بائسًا صرخ في وجهك قائلًا لِمَ كل ذلك البؤس أنت تعيش الرفاهية! الحمقى فقط يقولون ذلك.
الارتباط المادي الفعلي بالرفاهية محدود جدًا، الأموال تمنحك كل ما يُباع، لكن هناك أشياء لا تقدر بثمن كالألم؛ فثمنه باهظٌ جدًا، يعيش الإنسان على كتف إنسان آخر، طفيلي استغلالي همجي رجعي، ومن ثم تجده يتحدث بالمبادئ السامية!
لحظة إدراك؛ في الطريق المظلم بجانب الجسر المعلق أمام السور الكبير، رأيت جثث أطفال مُلقى بها على الأرض، يمر الجميع بهم ولا ينظرون لهم، وكأنهم اتفقوا على تجاهلهم، وبالقرب من الأطفال هناك امرأة شبه عارية مستلقية على ظهرها تقطر الدماء من كل مكان، أُغتصبت مرارًا وتكرارًا، وأخوتها ينظرون لها ولا يحركون ساكنًا.
الإنسان عدو الإنسان، والشخص عدو نفسه والنفس على النفس غير قادرة على كبحها، كل شيء في هذا العالم مختلف، الجميع حرفيًا يتخلى عن الجميع، لا قانون سائد غير القوة، ولا محرك للعلاقات في تلك البقعة اللعينة غير المصلحة، حتى الشيطان لا يستطيع أن يستوعب ما يحدث.

هممت بالسير قليلًا، وجدت هناك جمعًا عظيمًا وبكاءً ونحيبًا خشيت أن أنظر إلى ذلك المشهد وأتألم، لكن حدوث ذلك كان مفرحًا جدًا بالنسبة لي؛ فقد شعرت بوجود ضمير إنساني متألم للأحداث التي وقعت، حيث وجدت قطة صغيرة سوداء دهستها سيارة من نوع مرسيدس وطائر صغير يحتضر قد فارق الحياة منذ لحظة، ولا زالت بعض الأغصان الصغيرة في فهم، فقد كان منهمكًا في بناء عش لعائلته. أنا لست ضد حقوق الحيوان، ما الخير الذي سوف نقدمه للبشرية في عالم يكون الإنسان أفضل من الحيوان ويعامل معاملة النبلاء، والإنسان يعامل بالذل ويكون مهان؟!

شعرت بالغثيان لما يحدث!!

طفلٌ عارٍ تخترق جسده عشرة رصاصات، وامرأة اغتصبت وقطعت ملابسها أشلاء، الجميع ينظر لها نظرة اشمئزاز، ثكلى خسرت زوجها منذ أكثر من عام وطفلاها مرميان على التراب، طفلٌ مات قبل عام وآخر مازال يحتظر منذ ستة أعوام، لم أرَ تنديد! عالمٌ أخشى على الشيطان أن دخله ان يخرج بعقلية إجرامية أكثر مما تعلم.

خرج من النفق المظلم عائدًا إلى المنزل بعد يوم عصيب كشف فيه زيف الأطراف، راغب في تخطي كل شيء دفعة واحدة، بلد سمي بالسلام حيث الفجور والفسوق ولا أمان، والكفر صار عبادة

الزنا صار حلالًا

التعري موضة

القتل قوة...

كلمة أحد القديسين قادرة على قلب العالم رأسًا على عقب!

سطع نور الفجر ودخل إلى المنزل من الباحة الخلفية، الغرفة الحمراء توهج بالنور من بعيد، دخل يمشي على رؤوس أصابع قدميه؛ لكي لا يشعر أحد به، رأى الأوراق ملقاة على الأرض تتطاير، وهناك مجموعة رجال في داخل الغرفة، أحدهم يحمل منشارًا والآخر يحمل فأسًا، والثالث يحمل عصا بيده يضربون طفلًا صغيرًا

- أوه... مارتن!

بدأ بالصراخ:

- لا تفعلوا ذلك، مارتن صغيري.

أوقفته كاثي قائلة:

- ما بك؟ ماذا حدث لك يا عزيزي؟
- سوف يقتلون مارتن يا كاثي!
- من سوف يقتل من؟ أنت تعب جدًا، لا شيء يحدث مارتن جالس بجواري فقد سمع صوتنا وأتى إليّ، ولم يستطع النوم، وجايكوب يغط في نومٍ عميق، نحن لا نرى شيئًا هل أنت ترى شيئًا؟

سأل إدوارد ابنه

- وأنت يا مارتن هل ترى شيئًا؟
- كلا يا أبي لا أرى أي شيء.
- لماذا لم تنم يا ولدي بزغ نور الفجر وأنت لديك دروس تأخذها؟
- لم أستطع النوم يا أبي.
- كاثي، ادخلي الولد إلى المنزل، والأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، سوف نتكلم في وقتٍ لاحق.

الفصل الثامن عشر

خرجت كاثي في الصباح وبدأت تتكلم مع إدوارد، وكان يستشيط غضبًا:

- يجب أن تنتهي هذه المهزلة، كل شخص فينا يذهب في طريق مختلف.

كاثي:

- ماذا تعني؟

إدوارد:

- علينا أن نتطلق

كاثي في صدمة مما تسمع:

- كيف أتطلق ولديَّ طفلان منك، هل جننت؟

- أنا لم أجن إطلاقًا، أفعل الصواب الذي لم أفعله منذ مدة طويلة، الكذب لا ينتمي لأي علاقة، تسعة أعوام خدعتني وتقولين لي الآن علاقة، بربكِ يا كاثي كفى هراءً! أنا وأنتِ لا يحب أحدنا الآخر، جمعتنا غايات مختلفة، حققتِ ما كنتِ ترمين إليه، لقد انضممتِ إلى رابطة الظلام.

قالت كاثي:

- وما مصير الأطفال؟
- سيكون كل طفل لكل واحد فينا، أنا سأخذ مارتن وأنتِ تأخذين جايكوب؛ لأن جايكوب يحتاج رعاية والدته أكثر من مارتن، مع أنني أشك بأن تكوني أم صالحة، أنتِ حتى كلمة أمي لا تستحقين أن يقولها لكِ أبنائكِ، للأسف هذه هي الحياة تمنح الأشياء الصح للأشخاص الخطأ والأشياء الخطأ للأشخاص الصح، كاثي لقد ألمتني بشدة، أنا لن أتزوج من بعدكِ ليس حبًا فيكِ، لكنني كرهت النساء جميعًا بسببكِ، أنا سوف أترك هذا الحي وأذهب للعيش بمنزل بقرب والدتي، غدًا سأرحل.

ميليسا:

- سيد إدوارد، هنالك اتصال لك من شخص يدعى ميشيل.
- وأخيراً أحد الرفاق، مرحبًا بالأقرع... ممازحًا.
- مرحبًا إدوارد، كيف حالك؟ لماذا لم تتصل عليّ طيلة هذه الفترة؟ أنت لا تذكرني فقط في أوقات الحاجة يا لك من شخصٍ استغلالي!
- آسف يا ميشيل، لكن أنت تعلم لدينا أعمال كثيرة، حقًا تذكرت هل تذكر صديقك سيد براون؟

- نعم أذكره، لقد توفي قبل يومين بسبب حادث سير في إحدى شوارع مدينة كاليفورنيا.

- ماذا تقول؟ لقد رأيته قبل يومين هنا في أورشليم، ميشيل لا تمزح يا رجل، كان منهمكًا معنا في فك رموز عالم لاهوت الشرق! أذكر أنني سألته لِمَ أنت هنا فقال كنت أعمل هنا منذ مدة طويلة! قد يكون شخصًا يشبهه.

- لقد حضرت مراسيم دفنته بنفسي يا إدوارد.

- كيف يعقل ذلك أنا تحدثت معه بنفسي! أنا متأكد بأنه السيد براون، ميشيل الو هل لازلت معي؟

- يا إدوارد أرغب بسؤالك عن أمر ما.

- نعم اسأل

- في دراسة علم اللاهوت، هل يمكن أن يكون التسليم بالأكاذيب على أنها حقائق ثابتة، وخاصة إذا كانت مبهمة؟

الجواب:

عند الاعتراف بالأمر مسبقًا بأنه كذبة يفقد المعنى اللاهوتي له، الحقيقة والكذب في المعنى اللاهوتي والواقعي على خطى نقيض، ففي الصراع الأيديولوجي للقيم والمبادئ الأخلاقية تكون الأكاذيب حقائق سائدة ولا يمكن دحضها، الكذب

يأخذ معنى أوسع ومفهومًا مختلفًا، فقد يكون عبارة عن تأويل في اللاهوت الغرض منه الترويج لفكرة خاطئة، تسير خطواتها الأولى في مجرى اللاهوت، لتلوث رؤى الآخرين وتدلس الحقائق وتغييرها. بالضد تجد الأسس الميتافيزيقية تأخذ هذا الجانب وتجعل منه عنصرًا أساسيًا.

الطبيعة خلقت من وهمٍ مبني على حقائق زائفة، إدوارد أخبرنا بذلك، عندما جعل وجود الإنسان تسلسلًا هرميًا صعودًا ونزولًا، يأخذ اللاهوت الحيز نفسه في الاعتقاد المعنوي، إذ يؤمن البعض بشخوص معينة صعودًا ونزولًا في تراتبية الإيمان المادي...إذن، هل يمكن القول إن الكذب هي حقيقة منقطعة النظير في الفكر اللاهوتي؟ الحقيقة هي ثوابت فعلية بعيدة والمساس بها أمرٌ صعب.

اللاهوت علم اللوهيمي مصدره في الأصل يهوي، وفق الرؤى الأصولية، تكون الحقيقة كذبًا والكذب حقيقة في المعنى الملموس، أما الأصل هناك مرتكزات لا تتغير، يبقى الخير خيرًا والشر شرًا.

ميشيل:

- إذن التغيير يكون محل تسيس الحقائق البراغماتية المادية، يحدث في المعالم الخارجية؟

إدوارد:

- كلا، قد يكون التغيير غير مدرك، مما يسترعي إيجاد لوازم عينية لثبات الحقائق التي تأخذ جانبًا مختلفًا عن البراغماتية، إذ ممكن أن تأخذ الأخيرة جانبًا واحدًا من جوانب عدة، واقعية تجريبية وذاتية وأخلاقية... وأخيرًا تأتي براغماتية الطرح لدراسة الأصول الإيكولوجية تقوم على فكرة البعث الجديد، أو الولادة الحرة للكون، أي كل شيء مترابط بطريقة أو بأخرى، هذا الترابط يكون غير مبهم ومعلوم للذوات التي تعزف عن فهم هذه الحقيقة الخالدة التي تحدث بها إدوارد.

عند التكلم عن الميتافزيقية فأن الحقائق تكون غير ثابتة إذا مُزجت باللاهوت، فكيف يمكن أن يكون الكذب ثابتًا وعملية التقاء متضادين في عالم واحد صعب جدًا، اللاهوت وعالم ما وراء الطبيعة من قبيل جمع الأضداد.

السلوك المادي يساعدنا في قياس الأحداث ذات النتائج الفردية، إذ يتم معرفة درجة تأثيرها عبر دراسة الانسياب الزمني،

وتعد بمثابة خوارزميات قياسية للوصول للنتائج الفعلية للوقائع اللاهوتية إذا كانت حقيقة أو كذبة.

ميشيل:

- الآن فهمت الأمر، شكرًا صديقي.

انقطع الاتصال.

كاثي:

- يجب أن نتحدث يا إدوارد؛ يجب ألا تتخذ قرارات في لحظة غضب، أنت تعلم أنني أحبك، ولم أفكر بشخصٍ غيرك، لكن الرابطة هي من أجبرتني على ذلك، تعلم أمرًا؟ أنا أشكرهم على تلك المساعدة التي قدموها لي، لولاهم لما استطعت أن أتعرف عليك أو أجد شخصًا مثلك، رغبت أن أخبرك لكن خشيت من ردة فعلك التي سوف تظهرها في حال معرفتك.

صرخ في وجهها:

- لقد كذبتِ عليّ.

- ميشيل من أجبرني على ذلك.

- ماذا تقولين؟ م... ميشيل، وما شأنه!

بدأت كاثي بالبكاء بطريقة هستيرية:

- أنا لم أعد أحتمل كل ذلك، أنت لا تصدقني وأنا تعبت من التمثيل، صديقك الحميم هو من كان يجبرني أن أفعل كل الأمور التي يطلبها.

- وما شأنه في كل تلك الأحداث؟ كيف تريدين مني التصديق أن ميشيل يتدخل في حياتنا؟

- أنت من أردت معرفة الحقيقة، إذن عليك معرفتها كاملة، ميشيل لم يتدخل في حياتنا، إنما هو من صنع هذه الحياة لنا، ميشيل المدير التنفيذي لرابطة الظلام.

- أنتِ تمزحين!

- أقسم لك، وهل تعلم لِمَ اتصل بك الآن، لقد علم بأنك علمت وأراد أن يتفقد الوضع بنفسه فاتصل بك للحديث معك، ففي الأمس أخبرته أنني غير قادرة على التحمل وعليّ أن أخبرك، لكن ميشيل منعني وهددني بالقتل، اتفقت قبل عشر أيام مع السيد براون أن نخبرك بهذا السر، لكنني فقدت الاتصال بالسيد براون منذ أسبوع وخشيت على نفسي من ميشيل أن يفعل بي شيئًا سيئًا؛ لذلك طلبت منه إخبارك.

- السيد براون مات في حادث سير في كاليفورنيا منذ يومين.

- تم تصفيته، كل شخص يعارض طموحات وتوجهات الرابطة يتم تصفيته قبل أن يشكل خطرًا على الرابطة.

غادر إدوارد المنزل وبدأ يفكر بما قالته كاثي... السيد براون أنا لم أعرفه في حياتي مطلقًا، فقد تعرفت عليه عن طريق ميشيل وساعدني على فك شفرة الرموز التي كانت تأتي عن طريق الرسائل البريدية، ومن ثم أتفاجئ وأجده يعمل في مركز الأبحاث نفسه الذي أجبرت أنا بعد تحليل وتفكيك الشيفرات أن أعمل فيه ومع الرابطة التي أجبرتني على العمل، وبعدها أسمع خبر وفاته بطريقة غريبة، ميشيل يقول لي قد مات، وأنا قلت له قبل أسبوع رأيته ويخبرني قبل يومين توفى، والأغرب من ذلك كانت أغلب أسئلته تخص حياتي، فعندما سألني عن الكذب والحقيقة وكأنه لمح لي أن بعض الأكاذيب مقدسة!

الفصل التاسع عشر

مئاه شعاريم

الحانة المقدسة

الساعة ١:٢٨ صباحًا

أثناء السير بجانب النور منذ مدة طويلة أظهرت نفسي، وكأنني شخص مهزوم قطعوا كلتا يديه، حبيبة وزوجة تكذب وصديق كان يبتزني ويساعدني، أطفال لا أعلم ما هو مصيرهم في هذا العالم البائس، بيئة تفوح منها رائحة الجيفة.

لم أتصور يومًا أن يُخنق الإنسان وهو يسير في الهواء الطلق، الألم الذي يعتريني يستطيع أن يحطم أسوار برلين الخالدة.

مجموعة فتيات جميلات يجلسن بالقرب من الحانة المقدسة، مررت بجوارهن، ويدمي قلبي الألم لِمَ يفعلن ذلك؟! طلبت مني إحداهن وكانت في الثلاثين من عمرها تدعى فانيسا أن تقدم جسدها مقابل عشر دولارات، نظرت لها باشمئزاز، وأقول في نفسي هل المرأة هكذا أصبحت رخيصة، لم أكمل التفكير فأجابتني إجابة صعقتني، جعلتني أقف في مكاني من هول

الكلمات التي ألقتها عليّ، وكأن أحدهم ضربني على رأسي، كدت أن أسقط ويغمى عليّ

- أيها الغريب، نحن نبيع أجسادنا لنطعم أطفالنا لم نبع أفكارنا، يباع الهوى في الطرقات للتسلية، وتباع الأفكار للدمار والسيطرة وزهق الأرواح وسقوط الدماء!

علمت أنها امرأة حكيمة بادلتها الحديث، قلت لها:

- وما شأن الفكر بالجسد، أنتِ قد تنازلتِ عن أثمن ما تملكين، وثمنكِ عشر دولارات!

ألمتني إجابتها، حين قالت:

- كل شخص فينا أتى إلى هنا تنازل عن أشياء ثمينة يقدرها، أنا محظوظة فقد تنازلت عن جسدي، لكن غيري تنازل عما هو أثمن، رمقتني في عيني وقالت بصوتٍ خافت:

- لا أعلم لماذا تصرفت هكذا؟ أنت سلبت روحك وحرقت في المنفى ولن تعود، عيناك تقول أنت شخصٌ مشرد يرتدي ملابسًا غنية، لم يسرقوا ملابسك ولا أموالك، لقد سرقوا روحك وهي أثمن ما تملك، ليتهم سرقوا شيئًا آخر، تأكد من ذلك لن تعود كما كنت، أنت أصبحت شخصًا آخر غير الذي كنت عليه، هنا الجميع تائه، لا أحد يعرف السبيل نحو الخلاص.

صمتُ قليلًا، تفقدت جيبي فوجدت ورقة من فئة المئة دولار، أعطيتها لها ورحلت بعيدًا عنها، وجدت مقعدًا على رصيف الطريق الأرجواني، جلست قليلًا، كان هناك مصباح يقع فوقي أزعجني جدًا، رميت حجرً وكسرت المصباح، ليختفي الضوء شيئًا فشيئًا، بدأ الظلام بالدخول في أعماقي مرةً أخرى، شعرت أن العالم لا يريدني أن أظهر مرة أخرى. كلماتها سقطت على جوف قلبي، قالت لي أشياء أخفيتها عن نفسي، ثم ما لبثت أن أتت اليّ المرأة نفسها التي أعطيتها المال، فقلت لها:

- ماذا تريدين؟ طلبتِ عشر دولارات وأعطيتك مئة دولار

قالت:

- لا يوجد شيء بدون مقابل، نحن لسنا في عالمٍ مثالي أخلاقي يدفعنا لتقديم المعونة للأخرين مجانًا!

نظر إليها نظرة كره قائلًا:

- أنا مريض نفسي، ماذا تريدين مني؟! دعيني وشأني وإلا فعلت أمرًا لن يسركِ إطلاقًا.

تراجعت قليلًا وقالت:

- أستطيع مساعدتك، فأنا كنت يومًا ما أعمل قديسة.

- قديسة وتبيع الهوى، هراء هه هه هه!

- لم يكن الخيار لي يومًا، لو كان كذلك لما فعلت مطلقًا، أنت لم تشعر يوماً بأنك شخص يفعل أشياء لا يرغب بها إكراهًا، أنا لست امرأة جيدة، لكنني في الوقت نفسه أنا امرأة صالحة إذا كانت الحياة صالحة، كان عليّ دين يجب أن أدفعه للنادي، ولا يسمحون لي بالعمل غير هذا العمل، وأن لم أفعل سوف يقتلون أبنائي الثلاثة، رفضت المجيء إلى العالم السفلي حيث الرذيلة مباحة والفسق والفجور هو تسليتهم الوحيدة، أنا أعيش في عالم يتغذى على ألم روحي، باتت روحي تنطفئ شيئًا فشيئًا، الحانة التي مررت بها مليئة بنساء الدير جميعهن قديسات، جعلوا منا أدوات للمتعة، لتحقيق الخلاص اللاهوتي. إيمانهم يتغذى على بؤس الآخرين، عدم تقبل الآخرين باختلافهم يدفعهم لتغير توجهاتهم، لست أنت وحدك من يعاني، فالجميع هنا تحت حكم رابطة الظلام، أبنائنا مستقبلهم مجهول في عالمٍ مجهول.

الفصل العشرون

- الو!

- مرحبًا، كيف حالك ميشيل؟

- أهلًا إدوارد، أنا بخير

- ميشيل، دعنا نتكلم بواقعية، أنت المدير التنفيذي لرابطة الظلام، لماذا لم تخبرني بذلك؟

- لم يأتِ الوقت المناسب يا إدوارد لإخبارك بكل شيء.

- لماذا لم تقل لي الأمر منذ البداية؟ أنت أكثر من وثقت به، وقد استعنت بك لتساعدني، لأكتشف مؤخرًا أنت من يبتزني!

- أنت المختار يا إدوارد، لكنك لم تتغير لازلت صعب المراس، يجب أن تفعل ما يقع عليك من مهام، وأنت بقيت تراوغ وترفض.

- فهمت الآن أنت من جعلتني أقرب أحد مساعديك السيد براون وأدخلته منزلي، وأنت من قتلته؛ لأنه قرر أن يقف ضدك، لكن لا أعلم كيف خطرت في نفسي أن أتصل بك حينها وكيف جعلتك تدخل حياتي!

- مغفل هه هه هه... أنا أعرفك جيدًا أنت شخص ذكي، لكن ليس لديك بعد نظر وتثق بسرعة، وعندما بعثت إليك أكثر من

رسالة أصبتَ بالحيرة، وأعلم تمام المعرفة أنك شخص فضولي لا يستطيع كبح فضوله؛ لذلك علمت أنك سوف تتواصل معي، والآن لا يمكنك ترك ما أنت به، يجب أن تكمل وإلا دفعت ثمن الخطيئة التي سوف ترتكبها، أنا سوف أبقى في العمل ولن أدع الرابطة، لكن سوف أبقى بطريقتي التي أحددها وليست وفق شروطك.

جمع أغراضه ورحل في الصباح، خرج تائهًا وكأن العالم لا يتسع له، الخذلان مؤلم... الألم بقدر الوقائع التي تحدثها في النفس.

رجل في الحادي والأربعين من عمره مع طفل صغير أخذه من والدته عنوةً، يسير نحو المجهول، عائلة مُزقت! وقف أمام أحد الهواتف الموجودة في شارع مئة بوابة اتصل بوالدته!!

- الو... مرحبًا من معي؟

- أنا يا أمي

- أهلًا بك إدوارد، كيف حالك؟

- أنا بخير أنتِ كيف حالكِ؟ لكن حدثت ليّ مشكلة مع كاثي وقررنا الانفصال عن بعض، وأنا قررت أن عيش بالقربِ منك، أنا لا أريد العيش بعيدًا عنكِ.

عم الهدوء قليلًا، وبعدها انقطع الاتصال اغرورقت عينا إدوارد بالدموع، نظر إلى إدوارد الطفل الصغير وابتسم
- لا عليك، سوف نمكث الليلة هنا، هذا الحي هادئ جدًا أفضل لنا من حي "بتي براك".
قضى الليلة الأولى في إحدى النزل القديمة، كان الجلوس في هذا النزل اضطراري فقد حل الليل، وفي اليوم التالي اشترى منزل قرب السور الأسود، من رجل ارستقراطي بثمنٍ زهيد، استغرب إدوارد من هذا السعر الذي لا يتجاوز العشرة آلاف دولار، والمنزل كان كبيرًا جدًا في حي تراثي، وفي اليوم الأول لم تكن هناك أي أحداث غريبة حدثت، فقد كان الأشخاص هناك مسالمين وساخطين من النظام، الأطفال يرتدون قبعات بيضاء، بيئة متدينة تصلح للعيش "أنا الآن لا أخشى على مارتن من رابطة الظلام"

وبعد مرور شهرين...

حاولت كاثي مرارًا أن تتواصل معي، لكني رفضت الحديث معها، ورفعت دعوة طلاق، هرطقة الطلاق مباحة ومكروهة لدى الحاخامات، الخلاص لا يأتي بعدد قليل، يجب التكاثر لتأسيس الجيش المقدس! بدأت أسمع صراخ أحدهم كالمجانين:

- أنا لم أفعل ذلك، هناك من أرسل الطعام إليّ، أقسم لكم لست أنا.

حدث إطلاق نار فهرعت إلى غرفة مارتن خشيت عليه،

وجدت مارتن غارقًا في نومٍ عميق، في صباح اليوم التالي نزلت إلى الأسواق، كان العم صموئيل متواجدًا في الأسواق، ولم يكن أبنائه هناك، فقد كانوا يدرسون في مدرسة الحي اللاهوتية، سألته عن تلك الأصوات قال لي:

- أحدهم تناول لحم الأسماك في الأمس، وهذه خطيئة.

بحر من التطرف، الغلو والتزمت في رؤية اللاهوت، بعدها صرت أحسب كل خطوة أقوم بها، مضت الأيام سريعة مثل لمح البصر، وكان العالم يخنقني، فقد حرمتني كاثي رؤية ولدي جايكوب، أصبح الآن في السابعة من عمره، وبقيت أعمل في مركز الأبحاث، عملنا اقتصر في الآونة الأخيرة على دراسة تأثير اللاهوت في الشرق الأوسط، فقد تجسدت كل الأبحاث في عملية إيجاد تأصيل فكري لاهوتي في الشرق الأوسط لخلق بيئة أمنة تكون بمثابة درع حديدي للمواطنين.

الفصل الحادي العشرون

في شهر أغسطس من العام ١٩٦٠ صُدمت بحقيقة لم أتوقعها، فقد كان ميشيل يتردد على منزل كاثي طوال فترة طلاقي، قد خُيل لي أنهم في علاقة، لكن بعد أن حدث خلاف بين كاثي وميشيل في المنزل، أتت كاثي إلى المركز وتشاجرت معه، سمعتها تقول له:

- لقد بقيت معك لعشرين عامًا، وبعدها جعلتني أتزوج ذلك المعتوه إدوارد.

وقفت مصدومًا، فقد كنت أجهز العينات التي كنت أعمل على دراستها، كانت تتمثل في بيانات تحتوي على تحليل سلوك الجماعات اللاهوتية في داخل أورشليم وخارجها.

ميشيل:

- ما ذنبي أن إدوارد منعكِ من رؤية مارتن؟

- أنت أحمق! أنا أخبرتك أن أمر مارتن لا يهمني، مخبول مثل والده، أنا لم أحبه مطلقًا ولم أرغب بالزواج منه، لكني فعلت ما طلبت مني، كان قربان حبي لك أن أضحي بنفسي، وأنت ماذا قدمت لي، سلبت مني كل شيء! التضحية الأصل في الأفعال

السايسلوجية؛ تقديمها يجب أن يكون للشخص المناسب، وإلا قد تكون هباءً منثورًا.

خرجت كاثي وصُدمت عندما رأتني أقف أمامها، كابرَت في خطواتها ورأيت الانكسار في عمق روحها، قلت لها:

- هل كنت أستحق ذلك؟ عشرون عامًا... عشرون عامًا،

رحلت ورحل معها كل ما هو جميل، الدينونة يا كاثي، إنها الدينونة، رؤية الداخل من الخارج مؤلمة، عقاب الأيام يزيد الجراح، ويدمى الأسى القلوب الصادقة.

الصدق في العلاقات أولى علامات الانهيار، مضت في طريق ساعدتها وأنا ما زلت عالقًا في طريق البؤس، على جنبات الطريق أشجار الصبار والثعابين الأفريقية التي لا أعلم كيف دخلت دربي! تقول الأسطورة اللاهوتية:

إن الرب رحيم، لكن يجب أن يكون قاسيًا مع من ظلموا الرفاق والأصدقاء والأخلاء

الخونة لا مغفرة لهم؛ من باع قلب من يحب سوف يبيع أرض الوطن، الشرف والعزة والطهارة والمروءة لا تجذب الخيانة.

الرسالة السامية يجب أن لا يكتنفها الكذب، كل شخص في هذه الحياة يحمل في داخلة رسالة يسعى دائمًا لإيصالها بأبهى

الطرق وأجملها وأكثرها سلاسة، يُزين الكذب برداء الصدق، ليكن الكذب الأصل والصدق هو الفرع، الكذب جريء ومشاغب ومتسلط، والصدق خجول متردد.

- جُل ما سمعته أنا آسفة يا إدوارد.

قالتها، بغصة كأنها حرقت ونثرت رمادًا، حتى الطغاة يشعرون بالألم عندما يصيبهم ما أرادوا فعله للآخرين، بالرغم من كل ما فعلته معي، لكنني لازلت أحمل في ذاكرتي عنها ذكرى جميلة، وأصبحت أشفق عليها، جميع الروابط التي كانت تجمعني بها مُزقت في صفحات الزمن، جدلية الوقائع تحتم رؤى متباينة.

لكل فعل ثمن، ولكل عمل جزاء مادي أو معنوي، تحتم علينا الرؤية اللاهوتية أن نؤمن بأن هناك خطوطًا يجب عدم تجاوزها وخاصة أن الثمن مادي، في حين أن الجزاء قد يأخذ حيزًا معنويًا، هنا يصبح أكبر بكثير من العمل، ففي التقييم المادي الأول يكون العكس صحيحًا، لكن يتم حساب قدرة التأثير والأثر الذي يتركه كل فعل، فإذا كانت درجة التأثير محدودة مهما كان شكل الفعل أو رد الفعل عليه فإن الجزاء كان محدودًا، الراجح في الأغلب أن الثمن والجزاء المعنوي هو الأكبر، يرجع إلى أن عملية معالجته تأخذ وقتًا زمنيًا أكبر، وأن سرعة اكتشافه تكون

متأخرة مما يؤخر ظهور الأعراض الجانبية له، ويُعقد مسألة معرفة الأعراض المحتملة، عندما يصل الإنسان مرحلة يمقت حتى نفسة ويخاف كم من الأشخاص حوله ولا يثق فيهم ينتقل إلى مرحلة الدونية، حتى المثالية الأخلاقية لا تصمد في عالم يضمر الشر لك دائمًا.

رحلة الأخيار في هذا العالم محفوفة بالمخاطر، أدلجة الأفكار بدأت تعمل على تغيير الواقع اللاهوتي وفق رؤى علمانية مدنية تنكر أحقية اللاهوت، أو بالأحرى تستغل اللاهوت بطريقة بشعة جدًا.

الانتقام أن تسلب أحدهم أغلى ما يملك وأثمن شيئًا بحوزته، مهما حدث لي يجب أن أسعى إلى تحقيق الهدف المنشود، الإيمان المزيف هو الأسمى لدى البعض!

الفصل الثاني العشرون

كاردينا:

- سيد إدوارد، هناك امرأة تريد أن تلتقي بك.

إدوارد:

- من هي؟

- لا أعلم سيدي، فأنا لم أرَها من قبل.

غريب من تكون تلك المرأة، حتمًا ليست كاثي؛ لأنها زارتنا كثيرًا في منزلنا وتحدثت مع كاردينا!

- إذن دعيها تدخل.

- حاضر سوف أدخلها إلى صالة الجلوس.

إدوارد:

- أنتِ! ماذا أتى بكِ هنا؟ بأي حق تأتين إلى هنا! هل نسيتِ ماذا حدث لي بسببكِ؟ اخرجي من هنا حالًا ولا تدعيني أراكِ مرةً أخرى.

بدأ إدوارد بالصراخ، قالت له:

- اهدأ ولا ترفع صوتك، أنا والدتك وآتي إليك متى أشاء لا تستطيع منعي من عدم زيارتك، هل فهمت ذلك؟ أنا لم أتركك،

لكنك أهوج أقحمت نفسك في مأزق، كان حريًا بك أن تنتبه إلى تصرفاتك وتحدد أهدافك للوصل إلى ما ترغب وليس ما يريده الآخرون، أتيت إليك لأخذ مارتن معي، يجب أن يعيش في بيئة مناسبة لبعض الوقت، وأيضًا يقضي بعض الوقت مع سالي ابنة عمته إنها تصغره بعامين.

- ومن أخبركِ أنني سوف أسمح لكِ أن تفعلي ذلك؟

- سوف تسمح لي، وأنت من سيطلب مني أن أفعل ذلك، لقد رفعت كاثي عليك دعوة حضانة وأنت غير قادر على أن تربح الدعوة؛ لذلك يتحتم عليك أن تقبل بأن يذهب مارتن معي، أو تدعه يعيش مع ميشيل.

- لن يعيش مع أحد، سيعيش معي أنا.

- لن تربح القضية، أنت تعلم أن المحاكم تتبع نصوص لاهوتية تعطي المرأة أحقية في الحضانة، علاوة على ذلك يمتلك ميشيل نفوذًا قويًا في النظام، هم يريدون مارتن لممارسة الضغط عليك لتعود إلى العمل في المركز.

- من المستحيل أن أعمل في المركز، سوف أعمل في أي جامعة أو مركز غير هذا المركز.

- إذن يستوجب عليك فعل أحد الأمرين أما أن تحصل على عمل في ظرف أقل من أسبوع وهذا أمرٌ مستحيل؛ نظرًا لوضعك الحالي، أو تجعل مارتن يعيش معي ريثما تحصل على عمل، اتصل بي عندما تتخذ قرارك.

استيقظ إدوارد على صوت الجرس، نظر إلى الساعة (٨:٣٢ صباحاً)، يا إلهي لم أنم سوى ساعة ونصف، من هذا المزعج الذي يقرع الباب يا ترى؟! كاردينا لم يحن وقت قدومها ومارتن ذهب إلى المدرسة.

بدأ صوت طرق الباب يرتفع... أثناء السير نحو الباب، رُمي طابع بريدي من فتحت الباب، اقتربت قليلًا كتب عليه محكمة السماء وعليها شعاران: ميزان وغصن.

فتحت الطابع البريدي:

"إلى السيد إدوارد، رُفعت دعوة حضانة ضدك من قبل السيدة كاثي، تطلب فيها الحضانة بموجب الميثاق المقدس"

إنها مشكلة كبيرة، أن استطاعت كاثي كسب الحضانة سوف يجعلون مني خادمًا لهم، يجب أن أتصرف...

أخذ يفكر بعمق بالكلمات التي قالتها أمه له، الطبيعة السيسيولوجيا التي خُلق عليها الإنسان تدفعه الغريزة إلى الأم عند

الشعور بالضيق، لكن الواقع المادي الذي أراه مختلفًا تمامًا، أمي وما قامت به معي عندما اتخذت قراراتي لوحدي، وكاثي وماضيها المقيت، يا إلهي! أنا في حيرةٍ من أمري، ماذا عليّ أن أفعل؟! هل أسلم مصير ولدي بيد والدته التي لا ترحمه أم بيد أمي التي أعلم جيدًا ما سيحدث له؟! عندما تكون الخيارات شبه معدومة يكون الإنسان مقيدًا بالحقيقة، يتمنى أن يسمع الأكاذيب ويصدقها ويعيش معها لكي يحصل على القليل من الراحة.

أمر مؤسف أن لا تجد أحدًا يسندك في هذه الحياة، أن تكون شخصًا مبتور الأيدي يرى كوب ماء أمام عينيه ولا يستطيع شربه رغم عطشه الشديد، أن تكون شخصًا مسلوب القرار، دمية يحركها الجميع تفعل الأوامر؛ نقطة ضعفك سوف تكلفك كثيرا في هذا العالم يجب أن تكون متصلب المشاعر والأحاسيس.

رائحة القذارة التي تفوح من القلوب هي من تجعل لهم وجودًا ملفتًا رائحة الزهور أصبحت نتنة ولا أحد يرغب في استنشاقها، وعند وضعها يسخر الجميع منك، صفاء القلوب يورث الحقد والضغينة!

- الو

- أمي
- نعم
- متى تأتين لأخذ مارتن؟
- اليوم عند المساء.

إذن سوف أجعل مارتن يعيش لفترة مع والدتي وأتفرغ للعمل ضد الرابطة.

حل المساء أتت سالومي إلى المنزل:

- مرحبًا إدوارد، أين أنت؟
- أهلًا أمي، كيف حالكِ؟
- لماذا لا أرى الخادمة التي كانت هنا؟
- لقد سرحتها من عملها، أنا الآن لوحدي ولست بحاجة لها، مارتن... مارتن، أحضر أغراضك، تعال إلى هنا وألقي التحية على جدتكِ.
- أهلًا بحفيدي العزيز، سالي ترغب باللعب معك، لقد كبرت بسرعة!

رحل مارتن وينظر ليّ نظرة، طردت النوم من عيني أصابني الأرق، خرجت إلى الحديقة أتمشى، حيث كان جاريّ مارسيال يلوح بيده إلى السماء قائلًا:

- للرب ذات وللمختارين ذوات، فلا تغلب الذوات عن الذات، ولا تسبق الذوات الذات، وكل الذوات مرتبطة في الذات!

نظر لي وألقى التحية، ومن ثم دعوته يشرب كوبًا من القهوة، وبعد إلحاح قبل أن يأتي إلى منزلي، جلسنا في الحديقة وتبادلنا أطراف الحديث، فسألته:

- ما تلك الحركات التي كنت تعملها؟

- هذا أسلوب نتعمد فيه على التأمل في العبادة، إذ يقوم هذا الأسلوب على الإحلال المادي الذي ينغمس في الطبيعة الغنوصية، لتشكل الكم الهائل للمادة الكونية، أي أن كل مطلق هو مجرد من التأصيل الفلسفي المعنوي، وأن الخواص المادية للوجود لا تفقد جودتها في ظل الصيرورة الزمنية، الأبعاد المطلقة للكون وللاهوت يعود لأصل لاهوتي واحد يترابط فيه، مثل الأوتار المترابطة بطريقة عمودية وأفقية تحركها قوى خفية عن المعالم البشرية ومبهمة، يتم التواصل معها عن طريق الصفاء الذهني والروحي. الأرواح هي قنوات عابرة للوجود خاصة أن الوجود يرمن إلى الماهية التي تمثل الصفات الفعلية الثابتة، فأن هذه الخواص تكون مادية، في حين أن الروح هي ذات ارتباط أزلي وفق الرؤية الغنوصية، حلول الأشياء المادية محل الأشياء المعنوية يعطي

معنى برغماتي في تفسير الوقائع وفق الأهداف، هذا التفسير يأخذ الظواهر الطبيعية كدليلٍ ظاهر للعيان.

تفند هذه الرؤية الرؤى اللاهوتية المادية والمعنوية وتجعل منها توابعًا بدل أن تكون أصولًا، بالرغم من أن هذه الرؤية استمدت من الفعل اللاهوتي في الأصل، ومغزاها لا يختلف عن المغزى الذي تقوم عليها العبادات، لكن إحلال الآلهة في الطبيعة وإحلال الطبيعة في الآلهة هو خطأ فادح، حتى الرؤى ما وراء الطبيعة تنكر ذلك التفسير، وخاصة أن الكل المطلق لا يجزئ إلى أي شيء؛ لأن التجزئة تفيد اليقين المطلق، وأن اليقين المطلق هو مبهم كامن في الروى اللاهوتية، ففي هذا الحال تكون الرؤية الإحلالية التي يومن بها الآخر هي محل خلاف، لكنها لا تدخل اللاهوت في السياسة وهذا ما يجعل رابطة الظلام تبقى صامتة عنه.

بعد مرور عدة أيام فكرت في التقديم على عمل جديد، وما دفعني لذلك قرأت إعلانًا في جريدة هارتس، بأن هناك وظائفًا شاغرة في جامعة بار إيلان، وصلني اتصال من مركز الجامعة:

- مرحبًا، السيد إدوارد

- نعم، من معي؟

- أنا كرستينا مسؤولة الوظائف الشاغرة في جامعة بار إيلان، وقد تم قبولك للتدريس في الجامعة، فإذا أمكن احضر الأوراق الثبوتية يوم غد للالتحاق في عمل الجامعة.

بعد توقيع عقدي مع جامعة بار إيلان، أصبحت أذهب في أرجاء المعمورة لإلقاء المحاضرات التي تعزز وتدفع إلى اعتناق الرؤية الأصولية المؤيدة للوجود المادي، وأنفي كل ما هو يعارض الوجود المادي أو المعنوي.

الفصل الثالث العشرون

جامعة بار إيلان

في نقد علم اللاهوت

استمرار العمل في تحقيق الأحقية في الوجود تعتمد بدرجة كبيرة على المضامين الفكرية التي تنتقل من خلالها الأفكار في قنوات الاتصال، النضال يحقق لنا المسعى الأخير، العمل متواصل والثقة بدأت باكتسابها، لكن في الوقت نفسه أخشى من الأخطاء في العمل؛ إذ يعد العمل مع فرق مختلفة تتبنى كل فرقة رؤية فلسفية لاهوتية مختلفة بمثابة معوق للاستمرار في العمل في البيئة المحيطة.

يتحدث صموئيل العجوز عن الإيمان، وصفه على أنه الأصل الوجودي والمطلق الذي لا سبيل لتفنيده، إذ يتوجب على كل مؤمن أن يتبع الرسالة اللاهوتية التي جاءت إلى البشرية لتحقيق الخلاص، وعدم مزج الأهواء البشرية والمصالح المادية مع التعاليم اللاهوتية المقدسة، وأن غضب الرب عظيم، والهلاك يحدث للأمم الفاسقة، التي تغيير التعاليم الإلهية المقدسة.

بعض الأشخاص زيفوا الواقع واللاهوت يعتقدون أن ذلك يحقق

لهم الخلاص، الإيمان بالاتباع والانصياع للأوامر الإلهية، الإتباع يعد الأصل في الاعتقاد الإيماني المتجزئ من الرؤية العقائدية لكل فئة تؤمن بأفكارها المقدسة.

سرعان ما لبث، ونهض إدوارد عائدًا إلى المنزل بعد كلام العم صموئيل، ناقدًا للكلام الذي سمعه، العم صموئيل وجاريّ مارسيال كل واحد فيهم يقول أنا على حق وأنا صاحب الاتجاه الصحيح والحقيقي والخلاص يكون عن طريق اتباع أفكاري، خرافة! كيف يتم قياس الإيمان المعنوي؟! إذ يمتلك كل واحد فيهم طريقة مختلفة، الإيمان بالمعنى المادي يمكن أن يكون ملموسًا أو محسوسًا (مرئيًا) عن طريق العبادات، التي يتخذها كل شخص فيهم، مارسيال إيمانه المادي قائم على التأمل والانحلال المادي الجزئي في الكل، عبر استشعار الوجود الخلقي والانغماس فيه. في حين العم صموئيل يقوم إيمانه على الاتباع الحرفي والانصياع للأوامر الإلهية مهما كان شكلها مقبولًا أو غير مقبول إذن ثمة اختلاف في الإيمان المادي، لكن لا يلحق ضرر في الاعتقاد المتجزئ من اللاهوت، الأمر الذي يختلف فيه هو الإيمان المعنوي الغير ملموس، بمعنى أن المعاملات المادية مرئية يمكن معرفتها وقياسها واستخدام

الـدلالات والمعـاني للوصـول للنتـائج الحقيقـة، الإنسـان كينونـة غامضة يستحيل معرفة الفكر الذاتي...مثلًا:

المرأة التي كانـت في الحانـة المقدسـة هـي فاسـقة وفـاجرة تمثل رؤيتها المادية، في حين أن المعنى الإيماني والجوهري لها مثل النقاء والسمو على الإيمان المادي.

لمـاذا كـل فئـة تقتـل فئـة بسـبب الاخـتلاف الظـاهر؟ قـد يكـون المكنـون واحـدًا فـي أواصـر أسـاس الاعتقـاد، هنـاك الكثيـر ممـن يجهلـون مـا يفعلـون، الـرب حـدد طريـق الصـواب، وكـل شـخص يختار طريقـه، الوصـول إلـى الجنـة فـي عالمنـا المعاصـر عـن طريـق الابتعـاد عـن الجميـع والاعتقـاد فـي الآلهـة اعتقـادًا جازمًـا، فقـد ضاع الحق وسُلب وكأنه رجلٌ خارت قواه بعد معركة ضارية مع خمسة رجال قتلهم بعد أن نالوا منه الكثير.

عـدم حكـر الإيمـان وتنزيـه الـنفس وتقديسـها علـى الآخـرين هـو طريق الخلاص، والاعتقاد بأن الأصول واحدة للنجاة، الجهل في الإيمان هو السائد في عالم مجرد يتبع سلوكيات سياسية، تسيس الدين دفع الجميع إلى حجب أبصار العالم عن الحقائق الفعلية. اللاهـوت لا ينـافي العقـل ولا يـرفض العلـم، لكـن العلـم المـادي ينـافي اللاهـوت، إذ أصـبح الأغلـب يسـتخدم العلـم لاسـتغلال

اللاهوت وفي حال تعذر ذلك، كذب اللاهوت وأخرجوه من سياقة الحقيقي.

الفصل الرابع والعشرون

بارتي براك

قبو الكوليسيوم

- مرحبًا مارتن.

- أهلًا بكِ.

- أنا العمة ماريا، لقد كبرت وأصبحت رجلًا، لم أرك منذ كان عمرك أربعة أعوام.

سالي:

- مرحبًا مارتن، كيف حالك؟

مارتن:

- أنا بخير، أنتِ كيف حالكِ؟

سالومي:

- سالي ارشدي مارتن إلى غرفته التي سوف يمكث فيها.

ماريا:

- انظري كم هو بريء، لكن كان ذا حظٍ سيء؛ فقد ولد لأب وأم مهملين ليت كان لديّ ولدٌ يشبهه.

سالي يجب أن نتجاوز الممر الأرجواني للوصول إلى غرفتك، إنها تقع في أخر المرر بجوار غرفتي.
- هل تحب الاستكشاف يا مارتن؟ أنا أحب المغامرات.
- ليس كثيرًا، لا أحب أن أدخل نفسي في أشياء لا أستطيع الخروج منها، أنا تعب جدًا، أريد أن أنال قسطًا من الراحة.
أوصلته سالي إلى الغرفة ومن ثم عادت إلى صالة الجلوس، سالومي:
- أين مارتن؟
سالي:
- لقد طلب مني أن يأخذ قسطًا من الراحة لأنه تعب.
سالومي:
- أنتِ يا ماريا وسالي انتبها على مارتن وتابعا كل خطواته وتحركاته.
ماريا:
- اذهبي يا سالي إلى غرفتكِ لقد تأخر الوقت ولديك الكثير من الدروس التي لم تقومي بحلها، دعيني أجلس مع جدتكِ لوحدنا إلى أن يأتي والدكِ من العمل.
- أمي، لماذا أنتِ قلقة على مارتن، هل هناك خطبٌ ما؟

- أعتقد كرودوس يرغب في الحصول على مارتن؛ لذلك أحضرته إلى هنا فقد خشيت عليه من إهمال إدوارد.
- الميثاق الغليظ، سوف يدفع ثمنه الآباء والأبناء، لن ينجو منه أحد، ترك لنا دينًا كبيرًا لا سبيل للخلاص، لقد فعل إدوارد كل ما كان يستطيع فعله أما الآن فقد فات الأوان، لن يستطيع أحد أن يمنع كرودوس، في الحصول على ما اتفق عليه.
- اللعنة عليك يا ريتشارد! جعلنا نختبئ في الظلام، حدد علينا سبل النجاة، لقد ذهب إلى الفناء تاركًا لنا تركةً ثقيلة ليس بمقدورنا أن نتحمل تكلفتها؛ من يعمل سوف يأتي يوم ونحقق خلاصنا من ذلك الميثاق،

ماريا:

- وما هي طريقة الخلاص، كيف سنتخلص من ذلك الميثاق؟

الجدة سالومي:

- يجب أن تتم التضحية بأحد الأبناء المقرر بهم في العقد.

بدأ مارتن في الذهاب إلى ثانوية الحي، بدا عليه الشغف نحو دراسة الفيزياء والفلك، حصل على إعجاب مدرسيه فيها، أرسلت المدرسة في طلب وليّ أمره، فقد أخبروا الجدة سالومي أن مؤهلات مارتن تتفوق على مؤهلات وإمكانيات المدرسة ومن

الأفضل أن ينتقل إلى مدرسة أخرى تتواكب مع مؤهلاته، نخشى أن لا نمنحه ما يوائم إمكانياته، خرجت الجدة من المدرسة غاضبة وركبت سيارتها وقادت بسرعة إلى أن وصلت إلى مركز الأبحاث، دخلت إلى مكتب المدير التنفيذي في لحظة هيجان، صرخت:

- هيّ ميشيل! إياك أن تقترب من حفيدي مارتن وإلا تعرف ما سأفعل بك، كان حريًّا بك أن تتابع تصرفاتك.

نظرت بجوار المكتب كان هناك طفل يجلس لم يتجاوز العاشرة من عمره، ذو عيون رمادية اللون وشعر بني مجعد، ابتسم ميشيل وقال:

- هدئي من روعكِ سيدة سالومي، أنا لم أفعل أي شيء يغضبكِ، ولن أفعل، لا تصرخي في وجهي في مكتبي أمام حفيدكِ.

- أشك في ذلك!

ومن ثم غادرت المركز.

- أين رجال الآمن؟ لِمَ لم تمنعوها من الدخول، مستوى الآمن لديكم غير آمن، ماذا لو دخل أحدهم إلى هنا لقتلي؟!

كاثي:

- ما بك يا ميشيل، لِمَ أنت غاضب وتصرخ؟ بدا وجهك شاحبًا وكأنك رأيت الموت.

- بفضل خطتكِ الغبية، أخبرتكِ أن الجدة سالومي امرأة لا يستهان بها، أنها قادرة على ابتلاعي وابتلاعكِ في ثوانٍ، لقد هددتني بعدم الاقتراب من مارتن، ما شأني أنا بذلك، أنا لست مستعدًا أن أعرض نفسي للخطر، إنها زوجة أكبر سفاحًا في الرابطة تستطيع أن تذهب بنا إلى الجحيم في غضون لحظات، هل تعلمين ما معنى ذلك؟

قبل أن تخرج من حي مئاه شعاريم، وعند منعطف الطريق الفاصل ما بين مئاه شعاريم وبتي براك صادفتها سيارة مسرعة، لم تستطع أن تتحكم في السيارة وانقلبت فيها، نُقلت على أثرها إلى المستشفى، أصيبت بجروح متوسطة وخفيفة بفضل حزام الأمان وواقي الأمان الذي تحتوي عليه السيارة من نوع جاغوارXG.

حل المساء ولم تعد الجدة

ماريا:

- أين ذهبت؟ فقد قالت سوف أذهب إلى المدرسة، وسوف تعود مع مارتن وسالي.

- لقد عدنا يا أمي.

- سالي ومارتن، أين جدتكم؟
سالي:
- لم أرَها اليوم مطلقًا.
- وأنت يا مارتن هل رأيتها؟
- رأيتها في الصباح دخلت إلى السيدة ماري مديرة المدرسة ولم أرَها بعد ذلك.
- إذن لم توصلكم هي إلى هنا؟
- لا، فقد عدنا عن طريق الباص
- اذهبوا وغيروا ملابسكم ريثما أجهز لكم الطعام.
أين ذهبت أمي كل هذا الوقت؟! عليّ الاتصال بجوش فقد تكون معه؛ فهي تحب زيارته كثيرًا
الو
الو
الو...
غريب لماذا لم يجِب؟! لم تكن عادته أن لا يجيب على اتصالي! قد يكون لديه عمل، سوف يعاود الاتصال، عندما يرى اتصالي.
- تعالوا يا أولاد لقد جهزت لكم مائدة الطعام.

رنَّ جرس الهاتف

- تناولوا الطعام ريثما أجيب على الاتصال

- نعم، من معي؟

الفصل الخامس والعشرون

- عفوًا سيدتي، هل أنتِ قريبة السيدة سالومي؟
- نعم، أنا ابنتها، هل حدث شيء معها؟ ولماذا أنت من يتكلم معي وليست هي؟ هل حدث لها خطبٌ ما؟
- سيدتي، حالة والدتكِ الآن مستقرة هي في مستشفى الكاهن العظيم.
- ماذا؟ لِمَ هي في المستشفى؟
- وقع حادث في تقاطع الأحياء القديمة، وكانت والدتكِ من ضمن المصابين.
- سوف آتي حالًا.

انقطع الاتصال...

سالي:

- أمي ما بكِ؟ لماذا تبكين هل حدث خطبٌ ما مع والدي؟
- لا لم يحدث شيء، جدتكِ متعبة في المستشفى، وأنا سوف أذهب إليها، عليكم البقاء هنا، ولا تفتحوا الباب للغرباء.

رن جرس الهاتف مرةٍ أخرى

- الو

- ماريا، لقد اتصلتِ بي ولم أستطع أن أجيبك؛ فقد كنت منهمكًا في العمل؟
- جوش، لقد اتصلوا من مستشفى القديس الأعظم، قالوا لي أن والدتي عملت حادث وتسبب الحادث بأضرار في جسدها وأنا الآن ذاهبة إليها.
جوش:
- انتظريني أذهب معكِ.
- لكنك سوف تتأخر.
- لا ، أنا عائد إلى المنزل.
- إذن اذهب إلى المستشفى قبلي وأنا سوف ألحق بك.
- ماذا عن الأولاد هل سنتركهم في المنزل لوحدهم؟
- أعددت لهم طعامًا يكفيهم لليوم، وهم كبار ليسوا أطفالًا، ونبهت عليهم عدم فتح الباب للغرباء، يجب أن نذهب هل تريد مني أن أشرح لك الآن كل شَيء؟
مفاجأة كفيلة أن تجعل منك شخصًا مخبولًا، في لحظة تفقد كل ما تملك، وفي لحظة تكسب كل ما حُرمت منه، عندما ترى والديك في حالة ضعف، سوف تبكي ويكسر قلبك لا إراديًا مهما كان نوع العلاقات التي سادت بينكم لسنوات طويلة.

- ماذا حدث لكِ يا أمي؟

بعينين تملأها الدموع:

- آسفة إدوارد، لم يكن بوسعي عمل شيء آخر.

- لماذا تعتذرين مني، الجميع يخطئ؟

- طالما كنت كريمًا معنا، نؤذيك وتصمت، أخشى أن أموت وأنت تحمل في داخلك شيئًا سيئًا نحوي، يجب أن أكفر خطاياي، أنا أحتضر منذ أربعين عامًا، لقد باعك والدك لكرودوس، نص العقد أن يدفع الثمن الأبناء.

- لم أفهم شيئًا!

- اذهب إلى قبو الكوليسيوم، ومزق العقد بدماء ماريا.

- كيف؟ بدماء ماريا!

بصوت تعب جدًا:

- والدك كان يحب ماريا، لذلك جعل منها ترياقًا للأمراض والاختلافات التي تحدث في العالم السفلي، لكن عند فعل ذلك، يجب أن تقتل كرودوس بيدك قبل أن يستحوذ على روح مارتن، أنت لست المختار بل مارتن هو المختار، قبل ذلك عليك قتل ميشيل؛ يستمد كرودوس قوته من حياة ميشيل، قدّم روحه قربانًا للوثنية، أن تعبد ما تراه هو كفر مطلق في العقل

الكامن، للبعد الواقعي التجريبي المادي، فكرة الآلهة هي فكرة مقدسة لا يشوبها الخطأ.

- آسف عليك أن تخرج، المريضة في حالة حرجة.

- أعتذر يا إدوارد، لم يكن بوسعي فعل شيء.

علمت الآن لماذا أمي لم ترغب في أن أتزوج وأنجب الأطفال؛ لأنها كانت تعلم أن اللعنة سوف تحل بالأبناء.

الاعتذار، الذي يأتي في ختام مهرجان الحياة، مثل الذي يرشق أحدهم بماء بعدما ضربه بالعصا وأدمى جسده.

التعامل مع العالم السفلي يخرج الإنسان من طور الإنسانية إلى الطور الهمجية، بعد أن تدنس الحقائق، يصبح لا وجود لها، حتى الإله لا يرحم الخطائين بعد إصرارهم على الخطأ وتشبثهم به يحق عليهم الدينونة.

الأفعال بمثابة أذونات للذوات، الرغبة والشهوة والقوة، فواعل معنوية تقبع في الروح، الأفعال نتجت عن أضرار خارجية حدثت تشوهات في الصورة الذهنية، هذا التشوه غيَّر من تراتبية الوقائع الأحيائية، حلت الوقائع المادية الخارجية محل الرغبة والشهوة والقوة.

غريب كيف لواقعة معنوية أن تأخذ حيزًا ماديًا؟! الكره شعور معنوي غير ملموس، الانتقام يعد نتيجة للأفعال المادية التي تدفع بالأشخاص إلى تحقيق أكبر قدرًا ممكنًا من الربح أو الخسارة، للوصول إلى غاية معين.

جدلية الغاية تؤدي إلى التخبط في الرؤى، إذ تكون في بعض الأحيان الرؤى نتاجًا للوهم الذي يتجلى بصور ذهنية غير حقيقية نتيجة الضغوطات الخارجية، مما يسترعي إعادة النظر في الرؤية التراجيدية التي نشأت بفعل مؤثرات داخلية.

التأثير خلق غاية معينة، حقيقية أم مزيفة مرهونة بالوقائع المادية التي نشأت بفعل ظروف عقلانية أو غير عقلانية، الاستقصاء عبارة عن أحقية الغاية من عدمها وفق الاعتقاد اللاهوتي، غير قابل للوجود أو الدحض، خاصة أن القيم اللاهوتية تتسم بالقداسة ولا يمكننا نقدها، أو على أقل تقدير نقد الأفكار المحيطة بها؛ فكل فكرة أوجدت غاية معينة؛ أحاطتها بغلاف القداسة للحفاظ على وجودها، ففي حال نقد تلك الفكرة أو محاولة البحث والتقصي عنها، تجد ردود الأفعال غير متباينة؛ إذ تعد الفكرة المغلفة بالقداسة اللاهوتية لا تقبل لغة الحوار الناقدة

لها، مما يدفع إلى التهجم نحو أي خطر قد يهدد وجود هذه الفكرة أو مغالطتها.

تقابل السياسة مع اللاهوت، جعل الأخير تابعًا له، فزج الأفكار السياسية وادلجتها بصبغة لاهوتية، يجعل منها حصنًا منعينًا... لم تغفل رابطة الظلام عن ذلك فقد جعلت منه غايةً وهدفًا يجب تحقيقه.

الفصل السادس والعشرون

دخلت ماريا وجوش إلى مستشفى الكاهن العظيم!

- علينا أن نسأل موظفة الاستقبال...

- مرحبًا، أين غرفة السيدة الذي عملت حادثًا قبل ثلاث ساعات، تبلغ من العمر ثمانية وسبعين عامًا؟

- في الطابق الثالث، وحدة عناية الكسور، لكن عليكم مخالفة أن تتركوا امرأة كبيرة في السن قيادة سيارة، والشرطة ترغب في الحديث معك.

- أنا على عجلة من أمري، يجب أن أتفقد والدتي، سأذهب إليهم في وقت آخر لأتحدث معهم.

السير بسرعة، تسابق للزمن تغيير الأحداث، تبعد مسافة عشرة دقائق عن طريق استخدام المصعد، لكنها كانت دهرًا!

جوش:

- ما بك يا ماريا؟ هدئي من روعكِ قليلًا.

أن تذهب بقدميك لرؤية قدرك، لا تستطيع أن تستوعب تلك اللحظة، الجميع يتخلى عنك لا أحد يستطيع أن يكمل الطريق معك، يجب أن تستمر في السير وحدك. أيام كنا صغار كانت

أمي تنهض صباحًا لإعداد الفطائر التي أحبها، مجرد تخيل الفقدان يكاد يخنقني

- أمي، أنا قادمة، أرجوكِ لا تتركيني أصارع هذا العالم وحدي، إدوارد، كيف حال أمي؟ منذ متى وأنت هنا؟

- لقد أخرجوني من غرفتها؛ لأن حالتها غير مستقرة، ماريا أين الأولاد؟

- في المنزل

إدوارد:

- هل جننتِ، كيف تتركيهم لوحدهم!

يا إلهي، لا أستطيع إخبارها؛ ولا يمكنني ترك أمي في هذا الوضع، المغفرة لأخطاء الآخرين صعبة جدًا، قسوة الأيام والألم الذي يقع على أي شخص، قادر أن يغير رؤية أي شخص نحو العالم من شخص فكاهي مرح إلى شخصٍ قاسٍ ولئيم، بعض الأخطاء لا تغتفر؛ فقد كان ثمنها أعوامًا من البؤس، كيف لشخصٍ أن يغفر لشخص جعله يشعر بالشفقة تجاه نفسه؟!

أحضرت المهرج معها، سوف يصرع رأسي بأسئلته الغبية

- كيف حالك إدوارد، لا تقلق لن يحدث أي مكروه للسيدة سالومي، والأولاد أصبحوا بالغين.

لا يعلم أن جل ما أخشاه أن يصبحوا بالغين، أحمق لا يعلم أن تعاظم المخاطر تأتي من البلغ، كلما بلغ الإنسان وتقدم عمره توجب عليه التضحية، أما تضحية مادية عبر التخلي عن الأشياء المحيطة، أو تضحية معنوية تكون عبر التنازل عن الأفكار التي كان يؤمن بها يومًا ما، وكلاهما صعب التنازل عنه. أبله، سوف يتحمل البالغين الجدد حماقات الآباء والأجداد، قياسيًا أمر خاطئ أن يُعاقب المرء على شيء لم يفعله أو على أقل تقدير ليس بمقدوره أن يغيره، الحكم خارج القياس يكون حكمًا مجحفًا، ليس لمارتن أي ذنب فيما يحدث أو فيما سيحدث، فقد قُدر أن ينشأ في عائلة عليها دين كبير أخشى أن يتكفل وحده في سداده...

رد إدوارد:

- تفاديًا للأمر بحقك يا جوش لست قلقًا عليهم، لكن أنت تعلم مازالوا صغارًا في عيون والديهم مهما كبروا.

- سوف أصلي من أجل الجدة سالومي.

حاملًا ثالوثًا لاهوتيًا، قائلًا:

(فليحمي الرب في ملكوته العليا الجدة سالومي، بحق الذات والإيمان الذي ذكر في الناموس)

- جوش، إيمانك سوف يحرق روح الجدة!
- هون عليك يا إدوارد أنت تؤمن بشيء مختلف وأنا أؤمن بأبعد ما تراه، تعاليم الملكوت نُزلت على لسان يسوع ونقلها الأصدقاء الصالحون.
عجباً؛ هل من عاقل يؤمن بنقيضين لا يجتمعا حتى في الصدف!
الناموس
جوهرة العهد القديم
بولس والأرباب السبعة
محرر العهد الجديد...
إيمان البعض يجعلنا نتمنى لو كانوا على الطريق الحق، فقد نالوا من الإيمان ما لم ينله أحد من قبل، تلك المحاسن التي يحصل عليها الآخرون نتمنى أن نحظى بالبعض منها، هل يعقل أن يكون الإيمان المختلف هو الصواب؟ فقد يؤمن البعض أن أرواح الأشجار لها قداسة! سذاجة الأفكار النابعة من اللاوعي تجعل من المستحيل حقيقة، لعلي ولدت في كنف بيت لاهوتي متدين، ماذا لو ولدت لعائلة لا تؤمن بالإلهة، هل سوف أكون ذلك المؤمن العظيم؟! حتى لو ولدت في عائلة تشبه عائلة

مارسيال. أوه، لكنت الآن أتأمل الطبيعة وتركيباتها، لبقيت منغمسًا في رؤية ملامح القمر والنجوم الساطعة في دجى الليل، ومتابعة سير سرب الطيور باحثًا للخلاص.

الإيمان الذي لا ينمي شعور الخير في داخلنا هو إيمان يشوبه الخطأ، فلا يصح أن تكون مخرجات الأفكار المقدسة شيئًا غير مقدس، القداسة الكونية تمنح قداسة أخلاقية في التفكير المتأصل في الوعي الإنساني، فإن لم يغير الإيمان الفرد من أسوأ إلى أفضل فإن الفرد سوف يكون أداةً لنقل الأفكار التي سقطت في التيه.

الأزمنة الغابرة كان الكهنة ورجال اللاهوت أدوات للسلطة، عدم الاعتراف في اللاهوت، والابتعاد عنه دفع الأشخاص ذوي التفكير المادي للبزوغ مرةً أخرى، حُقب التاريخ تتجدد بطريقةٍ أو بأخرى، فعند ضعف الإيمان اللاهوتي يأتي الإيمان الإنساني، البدائل لا تعني القدرة على غلق ثغرات التعاليم الإلهية، هي في الأصل لا تتسم بالخطأ، إلا أن العلم الإنساني تجرأ وتطاول على العلم الإلهي ووصفه بأوصافٍ شنيعة الغرض منها إبراز الأفكار الضالة بدل الأفكار الصحيحة، نجد البعض يتحدث عن الإيمان في اللاهوت بأنه إيمان ناقص، أو يسعى لتقديم طرح

جديد يناهض الفلسفة اللاهوتية بهدف البروز؛ ليكن هو المؤثر في محيط الأفكار الناشئة. يتجسد التأثير بالقدرة التي تملكها الذوات، إذ يصبح المؤثر مع مرور الوقت هو المتأثر وتنقلب المعادلة رأسًا على عقب.

- إدوارد، أراك غارقًا في التفكير، ما بك؟

- جوش، أفكارك رائعة؛ لكن دعني وشأني.

- لماذا تتفادى النقاش معي دائمًا؟

- يا أحمق، وهل ترى هذا الوقت المناسب للحوار؟ أنا ما زلت أفكر فيما فعلتم أنت وماريا، كيف تتركون أطفالًا في المنزل لوحدهم!

الفصل السابع والعشرون

- سالي، لقد حل المساء ولم تأتِ عمتي.

- لا عليك سوف أتصل بها الآن، لكن تعال لنجلس ونتحدث قليلًا، نستغل هذا الوقت لمعرفة أحدنا الآخر أنا على العكس من أمي وأبي، أنا لا أحب العلوم الاجتماعية والنفسية، أحب القوانين الفيزيائية الجميلة والفلك، أحب مراقبة النجوم.

- هذا أمرٌ رائع، وأنا كذلك أحب الطبيعة، إذ اعتبرها ملهمي وطريقة تسليتي عندما أشعر بالوحدة.

- تعلم أمرًا؟ لدينا تلسكوب نستطيع مراقبة النجوم من خلاله، لكن هناك خطبًا لا نستطيع استخدامه.

مارتن:

- لماذا؟

- لأنه موجود في الغرفة المحرمة.

- حدثيني قليلًا عن هذه الغرفة، ماذا بها؟ ألم تجربي الدخول إليها مطلقًا أو تسترقي النظر إليها؟ وأين مكانها بالضبط؟

- لا، جدتي لا تسمح لنا بدخولها مطلقًا، لا أعلم ما بها، تقع بالقرب من غرفتك بابها أسود.

- إذن لنذهب إليها يا سالي، لا أحد سوانا هنا.
- لكنني خائفة.
- أنتِ جبانة، كيف لشخص أن يخاف من غرفة! أنا سوف أذهب إليها.
- تمهل، لا تفعل ذلك يا مارتن أرجوك توقف، أن أردت الذهاب لنذهب معًا.
اقتربا من باب الغرفة كان مؤصدًا بإحكام
سالي:
- إن الغرفة مغلقة لا نستطيع الدخول.
مارتن:
- بلى نستطيع، أعلم أين تخبئ جدتي المفاتيح في غرفتها في داخل الدرج الذي يقع قرب السرير، سوف أذهب وأحضره، أرغب برؤية النجمة الخماسية والمجرة الرابعة، هييي سالي، انظري أعتقد أنني وجدته.
- كيف وجدته وأنت لا تعرف أي مفتاح هو!
- بلى أعلم، فقد كان موضوع في صندوق لونه أسود فخم، وأعتقد أنه هو، استعدي سوف أجرب المفتاح الآن.
- فُتح الباب! الغرفة مظلمة جدًا.

- سوف أحاول إشعال الأضواء.

بدأ مارتن بمد يده قرب جهة الباب، وأخيرًا وجد زر ضغط عليه اشتعلت إنارة الغرفة، غرفة مليئة بالتراب، أغراضها قديمة جدًا ومبعثرة

- هل هذه الغرفة المحرمة أم الغرفة المهملة والمهترئة؟ ليس فيها شيء ملفت يدعو لعدم الدخول بها!

- لكن كيف ذلك؟ جدتي بين الحين والآخر تدخلها تبقى لعدة ساعات وتخرج!

- ودخلتها قبل أسبوع تقريبًا.

- أنت كنت تأخذ حصصًا إضافية، كيف تدخل غرفة كهذه وتستطيع الجلوس فيها!

مارتن:

- توقفي إذن هناك سر في هذه الغرفة، علينا تفقدها.

بدأ البحث في أرجاء الغرفة، وبعد بحث طويل قالت سالي:

- علينا أن نخرج؛ ليس هناك شيء، أعتقد أن أسطورة الغرفة المحرمة قد بُددت، وانتهت؟

مارتن:

- لا، علينا رفع هذه السجادة قبل أن نخرج، وننظف الغرفة ونستخدمها كغرفة قراءة.
- لكن جدتي أن علمت سوف تغضب، كيف تريد مني أن أبادلك هذه الفكرة البلهاء!
رفع السجادة الزرقاء وألقاها جانبًا، فلم تكن كبيرة، ولاحظ أن على الأرض هناك شقوقًا صغيرة، بدأ يقترب من الشقوق لاحظ أن التراب لم يصل أماكن ووصل أماكن أخرى!
- انظري سالي، لم يصل التراب إلى هنا، وهي كانت مهملة منذ زمن! إذا نظرنا بتمعن سوف نجد أن جميع أرجاء الغرفة فيها غبار إلا هنا، وأيضًا هنا وصل التراب أسفل السجادات التي وضعت الطاولة، لماذا لم يصل أسفل سجادة الأرض؟
بدأ يبحث جيدًا، فوجد ثقبًا صغيرًا بحجم الإصبع، مرر يده به وسحبه ليخرج إليه باب صغير لقبو أسفل هذه الغرفة، فتح باب القبو ونظر أسفله، وكان هناك قبو نظيف وفيه كتب كثيرة، نزل داخل القبو ونزلت معه سالي، بدأ يفحص الكتب فوجد كتابًا على الطاولة وبالقرب منه نظارات قراءة،
- تعالي يا سالي إلى هنا، انظري ماذا وجدت!

هناك نافذه صغيرة ركب عليها تلسكوب، بدأ الضحك بينهما، كانا سعيدين جدًا، ألقى نظرة على عنوان الكتاب:

(لعنة أهل الشرق)

نظر إلى الصفحة التي كانت مفتوحة كتب فيها:

"بلاد أشرار الخلق قتلوا المختارين، يجب الانتقام وقتل من قتل الآباء والأجداد".

وكُتب عبارة بالدماء:

"المحررون قادمون من أقصى الشرق".

- مارتن علينا الخروج أحدهم يطرق الباب.

الفصل الثامن والعشرون

ماريا:

- ماذا بك يا إدوارد؟ أراك شارد الذهن، لا تقلق سوف تكون والدتنا على ما يرام هذا ما أخبرني به الطبيب، لِمَ لا تزورنا كثيرًا؟ أنا لم أرَك منذ زمنٍ طويل! هيّا لنذهب إلى المنزل، لقد وضعوها في العناية المركزة، لن يسمحوا لنا بالبقاء، ولن يجدي نفعًا جلوسنا والانتظار، الأولاد وحدهم في المنزل ولقد تأخر الوقت كثيرًا، فقد أصابهم القلق علينا.

- لكن كيف يستطيع المرء أن يترك أكثر شخصًا يحبه في أكثر المواقف التي تدعو الحاجة إلى وجوده! وأن كانت غائبة عن الوعي أنا لم أفقد الوعي، وأن نسيتني أنا لم أنسَ يا ماريا، إنها والدتي، يجب عليّ البقاء بجانبها أطول وقتًا ممكنًا، يجب أن لا أخذلها، كيف يستطيع الإنسان أن يتصرف بأنانيه مقيتة، حتى وإن غابت الروح يبقى الجسد عديم النفع؟! عندما تحب لا تستطيع أن تتخذ أي قرار باستخدام عقلك؛ القلب سلطانٌ جائر لا يسمح لأحد أن يتدخل في قراراته.

أنا أخشى أن أذهب معكم ويصيبها مكروه، لن أسامح نفسي مطلقًا أن حدث ذلك.

ماريا:

- لِمَ أنت خائف لهذا الحد؟

- بعض الذكريات تأتي على شكل كوابيس يا ماريا.

- يجب أن ترتاح قليلًا، كبت الألم في الداخل مؤذيًا، سوف تقتل نفسك في سبيل تحقيق خلاص أحدهم، أنت شخص جيد يا إدوارد لا تستحق أن تفعل بنفسك ذلك، لقد فعلت المستحيل من أجل هذه العائلة، لكن لا أحد يُقدر ذلك، حكم عليك القدر أن تكون أنت من يضحي وأنت من يتأمل، عش حياتك بطريقة بسيطة تألم بشكل بسيط، استمتع ببساطة، لا تعطِ الأمور أكبر من حجمها.

- أنا عندما أحب لا أحب بالطريقة التي يعهدها الآخرون، أما حب يصيب بالجنون أو لا أحب أبدًا، أنا عندما أكره يطغى لديّ الكره على مشاعر الحب، أصبح شخصًا مؤذيًا جدًا، لكن أذيتي تقتصر على نفسي يا ماريا. حقًا لا أحبذ الجلوس مع الأشخاص الثرثارين فهم لا يشعرون ولا يقدرون مشاعر الآخرين، أخبري جوش أن يدعني وشأني.

نحن لا يعلم قيمة الأشياء إلا عندما نفقدها، تمنحك الحياة طابع الخير، لكن التجارب تعلمك الشر، أن تكون شخصًا جيدًا هذا أمر لا يعجب أحد، يجب أن تكون شخصًا أنانيًا شريرًا استغلالي، يجب أن تجلد ذاتك وتنتقل من المثالية إلى الدونية ومن العقلانية إلى الهمجية ومن السمو الروحي إلى القبح العسير الذي يلاحق روحك الطاهرة؛ لتصبح القذارة هي المتنفس الوحيد، والحيز القادر أن تفرغ فيه جل غضبك.

- إدوارد، هون عليك، الجميع يحيا مرة واحدة ويموت مرة واحدة، يجب أن تكون شخصًا صريحًا مع ذاتك وصادقًا في إيمانك.

- كيف لي أن أخبركِ يا ماريا أن الصراحة والصدق في ثبات الإيمان مفردتان لا تجتمعان في جسد واحد؛ لأنهما مختلفان تمامًا؛ الإيمان شعور مطلق بالحرية نابع عن الاحترام والتقدير لأي فكرة أو شخص أو دين معين، أن تكون مؤمنًا لا يعني أن تكون متدينًا. مثلًا أنا مؤمن أن الحياة غير عادلة، هذا الإيمان قائم على التجربة المادية التي تأخذ حيزًا كبيرًا في داخل النفس البشرية، وفي الوقت نفسه أنا مؤمن أن عائلتي هي أكثر من تسبب لي الألم في هذه الحياة، كل شخص معافى يا ماريا إلا

من خذلته عائلته، هل الإيمان هو إيمان ديني؟ لا، مطلقًا هو إيمان فردي تجاه موقف معين، لكن الصراحة ثمنها أكبر من الصدق، بمعنى أن الصدق هو التعامل مع الأحداث على درجة عالمية من الحساسية، من خلال التسليم للوقائع المادية والمعنوية بمعناها الصريح من دون فسح المجال لأي أحداث غير منطقية أو غير عقلانية. أن تغيير مسار الموقف،

التجربة والموقف في الصدق، تتمثل في أن ترى فتاة قبيحة ذات نفوذ وثرية تحمل بيدها سلاح، وتسألك هل أنا جميلة تجيبها نعم! هنا الصدق أن تتعامل مع الذات.

يحمل الصدق في طياته مرونة أكبر من الصراحة، إذ تساعده في ذلك العوامل الخارجية الضغوطات والتجارب الخاطئة، أما الموقف في الصدق يجسد في تغيير الأحداث، أن ترى امرأة في الشارع قبيحة المظهر وتسألك هل أنا جميلة، وتقول لها أنتِ قبيحة جدًا وتجعلها تبكي، ومن ثم ترحل.

الصدق في المعنى اللاهوتي أعمق من أن يكون صدقًا مجردًا، يتطلب اجتماع الموقف والتجربة، أن تتعامل مع الأحداث والوقائع على درجة عالية من الحساسية، فأن كان موقف الصدق بالغ الثمن يجب التنازل عن الصدق المادي والذهاب إلى الركن

المعنوي، أما إذا كان تجربة الصدق واضحة المعالم يتوحد الصدق المعنوي والمادي، ويكون التعامل على أساس المادي، في حين أن الصراحة هي مدلول أعمق من الصدق ... أن تكون صريحًا لا يعني أن تكون صادقًا في التجربة والموقف؛ الصراحة ركن معنوي بحت، في حين أن الموقف والتجربة ركن مادي، ليس كل ما تشعر به تستطيع البوح به؛ بعض الأشياء حُرم علينا البوح بها كأن تجهر بإيمانك لبعض الذين لا يروق لهم ذلك.

حيث إن العم صموئيل لا يحب صراحة مارسيال ، وإن فانيسا كرهت الصدق بناءً على الموقف والتجربة، كل شخص فيهم لديه إيمان خاص فيه، لكن لا أحد منهم يملك القوة المادية، فعند امتلاك السلطة يصبح القتل مشروعًا لدى الجميع؛ لذلك دائمًا إيماننا في العديد من الأشياء لا يكون صريحًا ولا يتسم بالصدق الكامن إزاء العديد من الأشياء في حياتنا لاهوتي أو مادي. الابتعاد عن الصراحة هي مسألة فطرية للإنسان خلق على أساس أن يتعامل بناءً على الموقف والتجربة.

الفصل التاسع والعشرون

- مرحبًا، سالي... مارتن... أين أنتم؟
- لقد آتينا، لقد تأخرتِ يا أمي ظننت أنكِ لن تأتي.
- لا يا عزيزتي، لكننا كنا مشغولين في جدتكِ.
- كيف هي الآن هل هي بخير؟
- يقول الأطباء حالتها مستقرة، لقد بقي بجوارها إدوارد.

مارتن:

- هل أبي كان هناك؟
- نعم، بقي بجوار جدتك، لم نستطع إقناعه للقدوم معنا.
- ليته جاء معكم؛ لقد اشتقت له كثيرًا، لم أرَه منذ زمنٍ طويل.
- لا تقلق يا بني، غدًا سوف اصطحبكم معي، بعد الحصول على إذن بالمغادرة من المدرسة، هيّا الى النوم يا رفاق، جوش... تعال معي قليلًا ، أنت تعرف طباع إدوارد لا يحب طرح النقاشات معك أنت بالتحديد، لماذا تتعمد سؤاله كلما سنحت لك الفرصة؟ لا أعلم لِمَ لا يحب الحديث معك، بالرغم من أنه منفتح الطباع إلا معك يصبح حادًا! عليك بالابتعاد عنه، وخاصة يوم غد.

- مرحبًا مارتن، لقد طال انتظارك، تأخرت كثيرًا عن الموعد المقرر.
- من أنت؟
- أنا مصيرك المحتوم وقدرك الأزلي، أنا ماهيتك ووجودك، أنا أنت وأنت أنا، أنا الذي سوف يساعدك في حل مشاكلك، أخبرني ماذا تريد وسوف أنفذ أوامرك، من اليوم أنا تابعك المخلص الذي لا يفارقك، لقد بعثني كرودوس للقيام بمهامك، اسمي خادم الظل، عندما يحل الظلام يسطع نور الحقيقة التي تتجلى في وسط الأفكار الغامضة؛ لتصبح الحقيقة ليست مجرد خيال، أنا سأبقى بجوارك، ليس عليك سوى أن تقوم بجرح معصم يدك وتذوق الدم وردد اسم كرودوس الخادم الأعظم للإلهة، لتجدني بجوارك...

استيقظ مارتن فزع مما رأى في المنام: يا إلهي! لقد كان مجرد كابوس مزعج.

أشعل مصباح الغرفة، نظر فوجد قصاصة ورقية كتب عليها بحبرٍ أسود غامق: **"خادم الظل في خدمتك سيدي"**

بعد مغادرة ماريا وجوش المستشفى خرج إدوارد فورًا وركب سيارته فيراري GT ٢٥٠، قاصدًا منزل ميشيل، وأثناء الذهاب إلى

ميشيل تردد قليلًا، وكأن أحدهم قال له قف، إياك أن تفعل! وأثناء مروره بالركن الغربي توقف قليلًا، يناظر جمال الأزرق الجنوبي في الركن الغربي من المدينة، وكيف حل التغيير عليه منذ أول وصوله قبل عشرة أعوام.

أعظم عدو للإنسان هو الإنسان نفسه؛ تزهق الأرواح للحصول على مكاسب مادية لا قيمه لها مطلقًا، كيف لأحدهم أن يستغل ضعف الآخرين لتحقيق أهدافه! الحياة لعبة خرقاء يفوز بها الجبناء دائمًا، أصحاب المبادئ يُقتلون قبل تحقيق أهدافهم، عندما تعيش في عالم؛ تكون السلطة فيه للأشرار يجب أن تغادره، البيئة التي جعلت منك شخصًا مريضًا لا تغادرها، استمر في العيش بداخلها إلى أن تشفى تمامًا، الهرب قبل وصول الإعصار بميل سيرًا على الأقدام، كالموت البطيء الذي سيحل بك، يجب أن تواجه قدرك مهما كان صعبًا، عليك البقاء وانتظاره. أن تتحلى بقدرة أكبر من القوة في مواجهة مخاوفك أفضل من الهروب منها، لن يشفى أي مريض أن بقي بالعقلية نفسها التي يواجه بها كافة الأمراض، قاتل بطريقة مختلفة لتصل إلى نتائج حقيقة، الدواء لن يحقق المعجزات.

الدواء الذي يتناوله المرضى ليس له تأثير، كذبة اخترعها القدماء للتخفيف من حدة الألم، أن تشعر أنك بخير هو السبيل الوحيد نحو النجاة.

فكرة الموت أحيانًا تكون فكرة جميلة؛ لأن الحياة بدت أكثر قسوة وصلابة في تمزيق أحلام الآخرين، أذكر قرأت رسالة لأحد المرضى في مستشفى الأمراض العقلية في مدينة هيوستن يقول فيها:

(كانت أمي تمنح كل شخص يصحو مبكرًا كوب شاي إضافي يشربه في الصباح، كانت مكافأة مجزية حينها، كنت كل يوم أصحو مبكرًا للفوز بها، اليوم حكموا عليّ بالموت على كرسي كهربائي، رأيت الممرضة ليندا تبكي بحرارة على مصيري، قبل الذهاب إلى الموت همست في أذنها، الموت أجمل مكافأة أتقاضاها في هذه الحياة).

الركن الغربي للبحر يحمل اسئ التجارب التي حدثت أمامه، كم من بحّار أراد تجاوزه وغرق ولم يحقق هدفه؟! تتجلى اسئ التجارب في عقر المحيطات الهائجة، الأمان والخوف والسعادة والحزن والطموح والعجز والفشل، جميعها تجدها في كيان مادي

غير عقلاني؛ ماذا لو كان للبحر شعور هل كان سيبقى صامدًا أبد الدهر على ذلك؟

الجدل والنقيض والبعد والبعد الآخر للوجود؛ صفات ديالكتيك في الأبعاد المادية التي تدفع الذوات لتجاوز الأخطار الممكنة والغير ممكنة، تخلق هالة من الشموخ والصمود أو تصنع أسطورة من الخوف والضعف لكل من يحاول الوصول منها.

الأساطير كانت دائمًا في المحل الأول في تقدم وتراجع أحدهم، إذ يخلق عدو مبهم يستند على الوهم الحقيقي الأوهام السبب الرئيسي في التراجع وعدم التقدم، العالم وما مر به من تقدم وإبداع؛ كان الفضل لمجموعة قليلة من البشرية تصل نسبتها (٠.١%)، ممن كانوا يمتلكون الشجاعة في إظهار أفكارهم ومحاربة مخاوفهم، الخوف من الموت حرم العالم من أفكار مستنيرة تجوب الأفق، العقول الراكدة في المقابر تتمنى العودة مرةً أخرى لمواجهة العالم.

الفصل الثلاثون

مستشفى الكاهن الأعظم

العناية المركزة

- مرحبًا أبي، هل أنت نائم؟

استيقظ إدوارد بعينين نصف مغمضتين على صوت الضوضاء

- أوه من هنا، مارتن! أهلًا ولدي العزيز لقد اشتقت لك.

- لماذا لم تأتِ لزيارتي مؤخرًا؟

- آسف يا ولدي، كان لديّ أعمال منهمكًا في إتمامها، أهلًا سالي، تبدين شابة جميلة.

- شكرًا خالي.

ماريا:

- كيف حالك؟

إدوارد:

- أنا بخير.

- لقد أصروا على المجيء إلى هنا لزيارة جدتهم.

- من الأفضل مجيئهم، سوف يحسن وضع والجدة أن رأتهم أو سمعت أصواتهم، أين جوش؟

- لقد أوصلنا وذهب إلى العمل، عليك أن تذهب وتغسل وجهك، لماذا نمت على هذا المقعد الصلب ألم يكن حريًّا بك أن تذهب معنا إلى المنزل؟

- لا عليكِ، أنا بخير.

- أرغب برؤية جدتي؛ لا أطيق الانتظار حتى أراها.

- انتظر قليلًا يا مارتن، سوف نسأل هذه الممرضة...

- عفوًا، متى يسمح لنا بزيارة المريضة؟

- بعد نصف ساعة، والزيارة يجب أن تكون فردية لا يسمح بالزيارة الجماعية؛ لأن المريضة تحتاج إلى الراحة، ولا تستطيع أن تجيبكم.

بعد انقضاء الوقت، دخلت ماريا إلى غرفة العناية المركزة، تهاوت الذكريات في رأسها، اقتربت قليلًا والخوف يتسرب إلى داخلها، فقد عاشت طيلة حياتها بالقرب من والدتها، الأيام كفيلة بأن تجعلك تخاف من كل شيء حولك، أبسط الذكريات تغدو جميلة، وأكثرها ألمًا تبدو وكأنها أكثر جمالًا... نظرت سالومي إلى ماريا بعيون تملأها الدموع ،قالت:

- لقد توفيت بريديجت منذ خمسة أعوام هي وأطفالها في حريق نشب في إحدى أحياء موناكو، هذا السر العظيم أرهقني يا ماريا، أنتِ أكثر شخصًا أثق به في هذا العالم.

ابتسمت:

- أعلم يا أمي، وأعلم كل ما جرى، لكن بقيت صامتة لأجلكِ أنتِ، تألمت لليالٍ طويلة بصمت.

بصوتٍ تعب:

- هل أحد يعلم غيرنا؟

- لا أعتقد يا أمي، إن إدوارد منطوٍ على نفسه، ومارتن وسالي ما زالوا صغارًا وغير مدركين للعديد من الحقائق.

خرجت ماريا، وأشارت لإدوارد بالدخول، دخل ادوارد إلى الردهة، نظر إلى والدته قائلًا:

- نحن أبناء غير جيدين، ها أنا أجلس هنا ولم أحرك ساكنًا لفعل شيء يسعدكِ، وأختي غادرت الأمس مبكرًا، بريديجت لم تسأل وكان الأمر لا يُعنيها، أصبحت عاجزًا يا أمي، ليس بمقدوري فعل أي شيء لإيقاف تلك الرابطة اللعينة.

- أنا والدة سيئة ولستم أبناء سيئين، يجب عليك أن تنسى كل ما قلته لك في الأمس. عندما يفشل الآباء في تحقيق ما هو أفضل

يلقون اللوم على الأبناء، الغرض من ذلك تحميل أبنائهم أخطائهم التي اقترفوها، نحن من يفشل وليس الأبناء، نجاحكم مرهون بنجاحنا، وفشلكم أصبح مرهونًا بفشلنا، الأبناء الصغار يقضون حياتهم في إصلاح أخطاء البالغين، سوف تبقى طفلًا في عيون والديك لو بلغت ألف عام.

- لقد بلغت مبكرًا وهذا ذنبي.

- كنت رجلًا في السابعة عشر من عمرك، لقد واجهت العديد من المصاعب في حياتك، أنا فخورة جدًا بك يا إدوارد، عليك أن تتعامل مع الحياة على أنها ليست والدتك القاسية، قسوتي عليك في بعض الأحيان هو حنان من نوع آخر وشفقة عليك ورحمة بك.

- لا تتعبي نفسكِ في الحديث يا أمي، ما زلتِ متعبة من الحادث.

- الجروح التي تراها الآن هي ليست سوى كدمات بسيطة.

هناك جروح لا تشفى وأخطاء لا تغتفر، نصمت أحيانًا ونفعل العديد من الأشياء المغفلة ونصر عليها ليس لأننا أغبياء، بل كان ثمنها باهظًا يا إدوارد، يجب أن تجعل ذلك في حسبانك،

الحياة من تحدد خيارتنا وليس نحن، نسير في طرقٍ رغمًا عنا وتركها في الغالب يكون أفضل، لكن ما باليد حيلة.

خرج يسأل نفسه: ماذا كانت تقصد والدتي؟! كأن كلامها في الآونة الأخيرة تلميحات لشيء معين... للإنسان ماهية خلق عليها، لكن الاختيار يكون في الأصل من عند الإنسان، كيف يجبر على شيء وهو يتعامل مع الأشياء المحيطة بإرادته، أوه... رأسي يؤلمني، عليّ الذهاب إلى الجامعة لديّ محاضرة، كثرة الأسئلة تجعلني أغرق.

دخلت سالي، ألقت التحية على جدتها، لكن وجدتها نائمة غير قادرة على الحديث، آه يا جدتي، لو أستطيع أن أعترف لكِ.

ومن ثم خرجت، بعد انقضاء القليل من الوقت، همست بإذن والدتها قائلة:

- حظي سيء، لقد كانت جدتي نائمة.

دخل مارتن نظر إلى جدته، كانت تنظر إليه بعيون حادة على غير عادتها، تلعثم قبل أن ينطق بشيء، وبعدها فقد السيطرة على نفسه تحدث بكلام لم يفهمه، ردد في نفسه: عجبًا ماذا يحدث ليّ!

- مرحبًا أيتها الشيطانة.

- أهلًا بك ملك الظل، هل فعلت ما كان يتوجب عليك فعله؟
- نعم، حدث كل شيء وفق الخطة التي وضعناها.
- هل سالي شعرت بشيء؟
- لا، لم تعلم أي شيء، فقد أحكمت السيطرة على حواسها، بفضل تلك الدماء اللعينة كانت عائقًا أمامي منذ زمن، الفضل يعود لكِ لتحرير روحي من سيطرة ماريا بعد الكتابة بدمائها للحصول على جسد ابنتها.
- تعلم ما عليك فعله؟
- سوف أقوم بكل شيء، لكن في الأول علينا تحريك إدوارد لقتل ميشيل، للسيطرة على الرابطة.
- لا عليك، سيقوم بذلك بعد أن يكتشف ما تعرض له.
- إذن سوف تفشين ذلك السر؟
- لا عليك، يتوجب عليك القيام بالمهمة وفق ما خُطط لها.
نظر مارتن إلى جدته، وكانه مخدر لا يستطيع أن يحرك جسده، قائلًا:
- كيف حالكِ؟ هل أنتِ بخير؟
- لا عليك يا حفيدي أنا بخير، أنت كيف حالك؟
- أنا على ما يرام...

ثم سقط مغشيًا عليه.

- لقد تأخر مارتن في الداخل يا ماريا!

- لا عليك يا إدوارد، يتحدث مع جدته.

- لا أعتقد ذلك، أخشى أن مكروهًا أصابه.

بعد دخول الممرضة للاطمئنان خرجت مسرعة

- ماذا حدث!

- ساعدوني بسرعة، أين الطبيب المختص؟ هناك أحدهم فقد الوعي!

دخل الممرضون ونقلوا مارتن إلى الغرفة الخضراء بعد فحص حالته، خرج الطبيب قائلًا:

- لا تقلقوا تعرض للإجهاد مؤخرًا، والآن هو بخير، لكن عليكم متابعته وأن لا يتعرض للإرهاق.

أجابه إدوارد:

- لكن مارتن لا يعمل، إنه يدرس فقط، كيف يحدث ذلك له!

- يحدث كثيرًا جراء الضغوط النفسية والعمل المتواصل، يشعر الجسد بالتعب، الإرهاق لا يقتصر على الأعمال المادية التي يقوم بها الجسد سيد إدوارد.

بعد ساعتين استفاق مارتن:

- ماذا حدث لي؟
- لقد أقلقتني عليك يا بني.
- لا أعلم ما حدث لي! كنت أتحدث مع جدتي، ومن ثم لم أشعر بشيء، أحسست بعدم القدرة بالسيطرة على نفسي وكأن أحدهم ألقى عليّ تعويذة.
- لا تقلق يا بني، لا تجهد نفسك، استرح قليلًا.
خرج إدوارد تعتريه الدهشة... هل يعقل أن يكون كرودوس من فعل ذلك! لا يمكن؛ فأنا المختار وليس مارتن، والاختيار لم يكن الحل الأفضل لأحد، مارتن مختلف تمامًا عني، وشيء آخر أمي لا تنتمي لتلك الرابطة ولا تؤمن في مبادئها!
عيون شاحبة
جسد خامل
هذا المنظر يذكرني، بشيءٍ ما... نعم، ذلك الرجل الذي التقيت به قبل عشرين عامًا في لندن! والقصاصة الورقية، الذات والذات الإلهية والانغماس الروحي في الأبعاد الذاتية الأحادية للجزء الحدي في البعد اللاهوتي المطلق.
الممرضة:
- تستطيعون إخراج مارتن، لقد تعافى وعادت إليه طاقته.
إدوارد:
- ماريا، خذي مارتن إلى المنزل.

- لا ، انتظر قليلًا، سوف نخرج مع أمي؛ لقد قال الطبيب في الثامنة ليلًا يحق لكم أخذها معكم، فقد أخرجوها من العناية المركز إلى ردهة المرضى قبل قليل، إلى ذلك الوقت سوف يبقى مارتن هنا معنا ليرتاح أكثر ونعود سويًا إلى المنزل.
- حسنًا يا ماريا، افعلي ما يحلو لكِ.

الفصل الحادي والثلاثون

كنيسة القيامة

اللاهوت والمنطق

- وقعت في ورطة كبيرة يا كاثي؛ السيد لورنس بنفسه اتصل وقال لي سوف نلتقي بعد ساعتين مع بينجامين مسؤول الشرق الأقصى.

- لِمَ أنت مرتبك؟ اذهب إليهم.

- السيد لورنس لا يأتي إلا في حالتين أما حدوث أمر مهم، أو هناك مصيبة سوف تحدث، وأنتِ تعلمين لقد ترك إدوارد المركز، ومارتن مع جدته.

- الاجتماع الذي سيكون برعاية إدوارد ومارتن، أن سألوني ماذا عليّ أن أجيبهم؟ هل أقول لهم أن إدوارد رحل، وأن مارتن ليس معنا؟ سوف يقتلوننا ويذهب عملنا أدراج الرياح!

.....

ماريا:

- افتحي الباب يا سالي، هيا أدخل يا مارتن واجلس على الأريكة؛ لأنها أكثر راحة لك ريثما أعد الطعام، بالتأكيد أنتم تشعرون بالجوع، وأنت يا جوش ساعدني بأخذ أمي إلى غرفتها.
- مرحبًا مارتن، أنا آسف لقد أجهدتك في المرة السابقة، أعدك لن يتكرر الأمر مرة أخرى.
- من أنت؟
- أنا خادمك سيدي.
- أطلب منك أن تخفف الألم عن جدتي وتشفيها تمامًا.
- بالتأكيد سأفعل ذلك؛ يسعدني جدًا.
استيقظ مارتن على صراخ ماريا:
- ماذا يحدث؟ لِمَ أنتِ هنا في المطبخ يا أمي؟ خرجتٍ في الأمس من المستشفى!
- لا أعلم يا ماريا، لكنني أشعر بأن الألم ذهب ولم يبقَ منه شيئًا.
ونظرت إلى مارتن، وهي تبتسم
- لكن كيف ذهبت تلك الكدمات، غريب كيف حدث ذلك!
- أنا أشكر الرب لقد أنقذني، وساعدني الصالحون بالشفاء بسرعة، البعض يا ماريا يحبهم الرب ويساعدوننا في إتمام مهامنا بوجه السرعة والدقة، الأرواح الصالحة تتصل بالإلهة، يكون

مقدار وجودها في الأرض أكبر من الأرواح الفاسدة التي تسعى دائمًا لتحقيق الشر الكامن في داخلها، نحن نعيش مع الصالحين لكن لا نراهم إلا في وقت الشدائد؛ أما الاشرار دائمًا يظهرون أمامنا، لتغلب قوة الشر على الخير.

عاد مارتن إلى الغرفة؛ وقضم أصبع يده وقال: كرودوس... ظهر أمامه شخص كانت ملامحة تدل على أنه رجل كبير يرتدي لباسًا أسود يغطي كل جسده مع قبعة بيضاء صغيرة دائرية فوق رأسه، ذو لحية كبيرة وشعر رأسه عبارة عن جدائل طويلة.

- أنا خادم السيد الأعظم مارتن، خادم الأحرار المخلصين؛ نمنح السيد كل ما يريده في سبيل تحقيق الخلاص، لكن سيدي كل شيء ننفذه يجب أن تقوم بعمل شيء لكرودوس في المقابل لتبقى منزلتك عالية باحثًا عن المجد للإنسانية. عليك أن تدخل إلى قبو الكوليسيوم مع سالي، وترسم رسمة النجمة ذات العيون السوداء لتكن حليفتنا، القوة والمجد لك سيدي الشاب.

خُدع مارتن بسرعة؛ لأن شعور القوة لم يجربه مطلقًا، كان يعتقد أن ما يفعله مجرب لعبة، لا يعلم أن ما يقوم به هو ضمان توقيع عقد مع كرودوس، ها قد بدأت النهاية المنتظرة؛ سوف يحل التغيير المنشود، أهلًا بك مارتن في العالم الجديد، عالم لا

تحكمه القوانين اللاهوتية، يخضع للقوانين المادية المستسقاة من العلم اللاهوتي ممزوج بالبعد بالمفاهيم الأخلاقية التجريبية للأصل الخلقي للوجود المادي والطوباوي، عالم ما بعد الفناء الجزئي للأبعاد المعلومة.

في الساعة الخامسة بعد الظهر دخل ميشيل كنيسة القيامة بناءً على رغبة لورنس مقابلته فيها

- مرحبًا سيد الرئيس الأعظم والمبجل لورنس، أسعدني لقائك ولقاء حاكم أهل الشرق بينجامين.

- أنا سعيد جدًا بقدومك لمقابلتي.

وأثناء الجلوس في الصف الأول للكنيسة، كانت هناك امرأة ترتدي ملابس راهبة؛ لم يبدُ عليها هيأة التدين والوقار، كانت كأنها امرأة تكنز الشر في داخلها، ترمقني بنظرات حادة وكأنني قتلت زوجها وعائلتها.

جلسنا قليلًا نحن الثلاثة مع المرأة التي تنظف الكنيسة، دخل علينا قداس الكنيسة يوحنا، يحمل بيده صولجان فيه نقشة العصا وسلم، وفي رقبته قلادة تحمل نحت صلب يسوع، لكن بدا هذا النحت غريبًا وكأني لم أرَه من قبل، عندما دققت النظر رأيت فوق الصليب طائرًا أصفر اللون يحمل غصن بيده، شعرت للوهلة

الأولى أن الطائر يسعى لمساعدة يسوع في الخلاص، وكان هناك غربان بالقرب من الطائر تريد قتله.

قال يوحنا:

- السلام لا يتحقق للحالمين، يجب أن نرتكب الخطيئة لنحقق السلام، لا يتحقق الآمن إلا في ارتكاب الذنوب، وتسلسل في الحديث مستشهدًا بقول يسوع:

"من كان منكم بلا خطيئة فليرمني بالحجر أولًا"

- ماذا فعلت يا ميشيل في المهمة التي وكلت إليك، هل تستطيع أن تكمل ما بدأت أم نعطي المهمة لشخصٍ آخر غيرك لتنفيذها؟

- لا يا سيدي، أنا قادر على فعل أي شيء تريده، لكن أحتاج القليل من الوقت.

- انظر يا ميشيل إلى تلك الساعة في أعلى سقف الكنيسة؛ سوف يأتي يوم ويحين الوقت الذي تنقضي ساعات عملها، يجب أن تعيد إدوارد إلى المركز وتفكك شيفرة اتراحاسيس وإلا كان العقاب مصيرك.

وفي الجانب الآخر كان إدوارد يقوم بسرد محاضرة على الطلاب في كلية الفلسفة قسم فلسفة اللاهوت في جامعة بار إيلان،

طرح فيها سؤال: هل الفلسفة أسبق من اللاهوت؟ وهل يمكن وضع اللاهوت بدل الفلسفة؟ وما هي الشروط المحددة لكل منهما؟ لم يجد جوابًا مقنعًا، فقال:

- ليس كل ما هو فلسفي يكون لاهوتيًا، ففي الغالب تكون الرؤية الطبيعية وفق المادية النقدية المحدودة للممكنات البشرية تأخذ معنى مادي محدود؛ يتعارض مع المفاهيم اللاهوتية؛ إذ يسعى العلم الإنساني إلى أخذ مكانة العلم الإلهي وفق طروحات علمية تستند على الغيبيات التي لا تمتلك دليلًا دامغًا لوجودها، الهدف منها إحلال علم إنساني غيبي محل العلم الإلهي الغيبي؛ ليصبح الشك محل اليقين، واليقين مسألة محدودة الأبعاد، تتسم بالنسبية التأصيلية للوجود المادي، إذ تنبثق النسبية من الرؤية الإنسانية المحدودة للمعالم، مما يجعل العلم الإنساني تابعًا للعلم الإلهي ومناطًا به بطريقة أو بأخرى، خاصة أن الخاصية الأساسية للعلم الإنساني تكون معالمه الغيبية ذات أفق أبعد من العلم المادي الإنساني.

يتطلب وجود عنصرين للفلسفة؛ لأخذ محل العلم اللاهوتي، الأول يتمثل في البرهان المادي، وأن استحسن ووجوده؛ فأن الأصل في وجوده يكون متبوعًا للعلم الإلهي الذي يعد المرجع الأساسي، أما العنصر الثاني العنصر المعنوي أو المبهم الذي تكمن معالمه في دراسة الغيبيات.

الفصل الثاني والثلاثون

استحالة وجود علم إنساني بنظريات قادرة على أن تكون على أقل تقدير بالثقل والوزن نفسه تجاه العلم الإلهي، ففي دراسة النظريات الميتافزيقية تحلل الواقع كما هو وتنطلق في التفسير على أساس نظرية السلسلة، بمعنى لكل جذع أصل وتفسير الأصل على أساس الجذع، أي أن الكون وحدة كاملة ومتكاملة تكون بالضد من الرؤية اللاهوتية.

الصدفة النسبية هي من ساعدت الوجود الكوني، وعند التحليل المادي للرؤية الطبيعية نجد ذلك يتعارض مع المفاهيم التي أسست هذا الوجود المادي، كيف لصدفة أن تخلق كونًا عمره ملايين السنين! عملية صناعة أي سيارة أو بناء أي منزل يتطلب إدارة وجود، الرؤية الوجودية تعارض كل ما هو مادي ومطلق، لكن تعارض أيضًا كل الأفكار الخارقة للوجود المادي تعترف بوجود أسبقية نوعية للوجود على الماهية، لكن هذه الأسبقية تكون محكومة بقوى غيبية، قد تكون لاهوتية أو قوى أخرى غير معلومة المصادر، لكن لا تسلم تسليمًا مطلقًا للصدفة النسبية، الأحداث المنطقية قد تكون غير لاهوتية، في أصل تعريف

المضامين الوجودية للوجود اللاهوتي مؤطر بأسس وأبعاد بعيدة عن اللاهوت، إذ تكون العولمة في بعدها السابع لا تتضمن المفاهيم اللاهوتية، لكنها قريبة من مصطلح الجمارا في تعريف أصل ومفاهيم التناخ.

هناك أيضًا مسائل لاهوتية، لكنها ليست فلسفية، المعاملات المادية في تحديد وبيان الأصول اللاهوتية لأي دين، فقد تمثل العبادات الركن المادي المعلوم الذي يتم من خلاله معرفة إيمان وعدم إيمان الآخر، الإيمان بالشكل الظاهر للعلن، مما يدفع إلى تحديد التعامل مع الأفراد على أساسها، قد تدفع إلى العدوانية أو التسامح، وأن كانت مادية بعيدة عن الفلسفة، لكن من الممكن أن تكون فلسفة واقعية للأفراد في تحديد تعاملاتها.

عملية الفصل بين الفلسفة واللاهوت عملية صعبة جدًا إذ تتداخل الفلسفة في اللاهوت، هذا التداخل لا يمنح أسبقية للفلسفة أو يجعل منها بديلًا، تعد الفلسفة هي أداة للعديد من الرؤى اللاهوتية التي يستخدمها الكهنة ورجال الدين للوصل إلى غاية معينة، لا ترتبط الغايات المادية بالتفسير اللاهوتي؛ إذ تعد تجسيدُا للأنا الفردي النابع من الذات الإنسانية التي تسعى إلى تحقيق مكاسب شخصية بغض النظر عن حلولها اللاهوتي، بين

إمكانية الاستخدام من عدم إمكانياته، تلك المعاملات تشيع التطرف والغلو، في استخدام اللاهوت لتشخيص أمراض خاطئة في داخل المجتمع.

فقد قرأت في الأدب العبري، عن شخص يدعى مايكل كاهن من الزمن العتيق يساعد المصابين بالزكام الحاد الذي انتشر في الأزمنة المديدة في العصور المظلمة، قال:

في يوم شديد البرودة أتى شخص إلى منزلي طلب المساعدة في شفاءه، سألته: ماهي الأعراض؟

قال لي إنه يعاني من الألم الشديد في المعدة وصعوبة في تناول الطعام، أعطيته جرعة دواء، ما لبث أن مر عليه يومان وازدادت حالته سوءًا، ذهبت إليه أتفقده وجدته طريح الفراش؛ سألته باستغراب: هل الدواء لم يجدِ نفعًا معك؟ وبعد إجراء الفحوصات اللازمة تبين أن الأعراض التي كان يشكو منها لم يكن لها وجود، وأن ما أصابه هي نزلة برد، لكنه أخطأ في وصف ما كان يعانيه، الخطأ قد يكون متعمدًا أو غير متعمد، لكن الأصل هو متعمد، يؤدي إلى نتائج كارثية، يتحملها الطبيب والمريض، والأشد وقعًا على الطبيب الذي يفقد ثقة الآخرين به في حال عدم تلافي الأمر بالسرعة الممكنة.

- عليك أن تطلب المغفرة يا ميشيل من الرب، التخلص من الخطايا هو السبيل الوحيد لإتمام المهمة الموكلة إليك.

كانت الطقوس في الكنيسة مختلفة ولم أعهد مثلها من قبل، لكن ما عساي أن أفعل؟! يجب أن أقوم بذلك الأمر الشنيع؛ أن أطلب المغفرة ممن لا أعتقد فيه خطأ لما أؤمن، قبل الخروج سقط نظري على لوحة لمريم المجدلية وضعت في منتصف الكنيسة قرب قداس الكاهن، الغريب في صورة مريم المجدلية كانت تحيط بها مجموعة من الذئاب الصغيرة، وهناك ذئب واحد كبير كانت الدماء تقطر من فمه وبالقرب منه ثعلب صغير ملقى على الأرض، غُرز في جسده عدة طعنات.

ردد الكاهن بعد خروج لورنس و بينجامين الذي بقي صامتًا طوال الوقت، لكن قبل الخروج أشار لي بعلامة النصر أو الموت:

- الأخيار في هذه الأرض مختارون، الخطيئة والنجاة يجتمعان مع مريم المجدلية، يجب أن تحقق الوعد الذي قطعته على الرب يا ميشيل الآثم، بدأت تفوح منك رائحة الأممية، السمو والرفعة من سمات الصالحين، سوف تدنو إلى أقطار الأرض بسبب تلك الخطيئة، الغفران من الرب.

الفصل الثالث والثلاثون

الجدة سالومي غارقة في نوم عميق، دخل مارتن وأخذ مفتاح الغرفة المحرمة، خرج يمشي على رؤوس أصابعه من غرفة الجدة، نظر إلى الممر وجد سالي أمامه تقول له:

- ماذا تفعل؟ ألا تخاف أن يشاهدك أحد وأنت تخرج من غرفة الجدة يا متهور في أخر الليل!

- لا تخافي لن يراني أحد، هل تذهبين معي؟

- لا أريد الذهاب؛ فأنا أخشى أن يكتشف أحد أمرنا.

- لِمَ أنتِ خائفة؟ ألم تقولي إنكِ تحبين المغامرة؟ سوف نقضي وقتًا ممتعًا.

دخل مارتن وسالي الغرفة المحرمة في تمام الساعة ١٢:٢٣ صباحًا، فتح باب القبو فوجدوا القبو مرتبًا وكأن أحدهم قام بتنظيفه؛ فور دخول مارتن ذهب إلى إحدى الرفوف التي وضع فيه الكتب المغطاة بالتراب، حيث مضى عليها زمن طويل لم تُفتح، أخذ الكتاب ذا الغلاف الأسود، عنوان الكتاب (خطيئة العالم القديم) وضع الكتاب على الطاولة وبدأ يفتح صفحاته، جلست سالي على أحد الكراسي:

- ماذا تفعل يا إدوارد؟ عن ماذا تبحث؟

قال كلمات لم تفهم منها شيئًا، ثم طلب من سالي إخراج بعض الأوراق من الدرج الذي كان لا يعلم في الأصل أن فيه أوراق وقال لها:

- هناك قلم، اجلبيه معكِ.

بعد أن أحضرت الأوراق والقلم طلب منها أن ترسم الرسمة التي رُسمت في الكتاب، نجمة وفيها ثلاث عيون سوداء وبالقرب منها هناك رسم أفعى ذات لون أصفر، بدون تردد بدأت بالرسم وبعد أن أتمت رسمتها الأولى نظرت إلى مارتن مبتسمًا، ثم قالت:

- أشعر وكأن جسدي خارج إرادتي، لا أستطيع السيطرة عليه، وكأن جسدي ثقيل جدًا!

سيطر خادم الظل على سالي التي كانت منيعة بسبب دماء ماريا التي كانت تحملها، بدأ الشر يسري في داخل مارتن الذي أصبح يرغب في الحصول على القوة والمحافظة عليها، قوة الشر بدأت تدفع نحو تحقيق الأهداف التي كان كرودوس وسالومي قد خططوا لها، ولورنس لا يعلم بما يحدث دون معرفته.

- الآن عليكِ يا سالي أن تفعلي كل ما تؤمرين بهِ بدون أي سؤال.

- نعم سيدي مارتن، سأفعل ما تطلبه مني دون تردد، أنا خادمة سيدي العظيم، يجب أن تقتلي جايكوب، بأسرع وقتًا ممكنًا.

خرج إدوارد من المحاضرة مسرعًا، ركب السيارة وقاد بسرعة جنونية كان متجهًا إلى الحي القديم، قاصدًا منزل كاثي، كان يريد قتل ميشيل لكن عندما وصل منزل كاثي تردد، قرع الجرس

- من معي؟

- هل السيدة كاثي هنا؟

- نعم، من أخبرها؟

- قولي لها أن السيد إدوارد يرغب في رؤيتك.

- لحظة سيدي...

- سيدة كاثي، هناك شخص في الخارج يدعى إدوارد يرغب رؤيتك.

من؟ إدوارد! يا ترى ماذا يريد هذه المرة؟!

- اسمحي له بالدخول.

- أهلًا بك إدوارد، ماذا تريد؟ أرجوك لست بحاجة إلى مشاكل أخرى، لا تفتعل المشاكل.

- لا أرغب بفعل شيء، أتيت لزيارة جايكوب لقد مر قرابة شهر ولم أرَه.

- إن كان الأمر كذلك سوف أجعلك تقابله.
ليتني أستطيع إخباره، تأنيب الضمير يكاد يقتلني، لكن هناك حقائق يجب أن تبقى مبهمة ولا يعلم بها أحد، من الأفضل أن تموت بعض الأسرار مع اصحابها.
جلس إدوارد مع جايكوب قليلًا يتحدثا؛ وقد بلغ جايكوب الحادي عشر من عمره بسرعة إذ يصغر مارتن بأربعة سنوات، يتكلم معه بحسرة في الصدر، يكاد أن يختنق من شدة الألم على رؤية عائلته تمزقت إلى فرق وطوائف، كل شخص فيهم يؤمن بشيء معين منافٍ لإيمان الآخر.
خرج إدوارد متسائلًا: لِمَ حدث كل ذلك؟! الحياة مع بعض الأشخاص تكون قاسية ولا تمنح له فرصة أن يعيش بسلام، الفوضى التي يعيش فيه الإنسان تنبع من ذاته، تقول الأسطورة تعيش حياتك مرة واحدة تحدد مصيرك الوجودي، أن كان الوجود والعدم سيان لماذا كان العدم أسبق من الوجود؟ ولماذا الوجود هو الفعل الحقيقي على أرض الواقع؟ ولماذا هناك وقائع لا يمكن قياسها وجوديًا ولا ماديًا يتم قياسها وفق التأصيل الطوباوي؟ هل لأن الإنسان بطبيعته أناني واستغلالي حتى مع نفسه؟!

العائلة هي مركز الإيمان الذي لا يمكن أن تتجاوزه مهما طال الزمن؛ قد تكون برغماتيًا ولدت في عائلة متدينة، سوف تجعل منك مستقبلًا برغماتيًا دينيًا، الجميع يعتقد أنه على حق، لكن لا يعلم الجميع أن الجميع ممكن أن يخطئ، الرب يعاقب الشخص السيء ولا يعاقب الجميع على فعل شخص واحد.

أثناء تناول وجبة الإفطار سألت سالي ماريا:

- لماذا لا نذهب ونزور ابن خالي جايكوب؟ لقد اشتقت له، لم أرَه منذ زمن.

- وأنا أيضًا أريد رؤية أخي.

- لا عليكم يا صغاري، سوف أحدد موعدًا مع كاثي.

عند باب خروج منزل كاثي التقى مع ميشيل؛ وبدأ يتذكر تلك الأيام التي قضاها معه؛ وكيف غدر به أعز أصدقائه وزوجته، أن ترى أعز ما تملك يذهب إلى غيرك بغير وجه حق، سوف تشفق على نفسك، الندم الذي كان على وجه كاثي استطاع ميشيل أن يراه مما جعل ملامح الغضب تعتريه.

- ماذا كان يفعل هنا إدوارد؟

- لقد أتى لرؤية جايكوب.

- وهل تريدين مني أن أصدق ذلك؟! وكأنه حدث شيء بينكما.

- هل أنت مجنون! لو كنت أحبه لما اخترت أن أتركه وآتي إليك، أنت شخص متسلط وأحمق لا تفرق بين الحب والاحترام، الاحترام نشأ بيننا فقد عشنا في كنف منزل واحد طيلة تسعة سنوات، وهناك أولاد بيننا أنا وأنت مجبران أن نتعامل معه؛ فهو والد أبنائي، ماذا جرى لعقلك بحق الآلهة!

- أنا مشوش قليلًا، فقد عشت يومًا عصيبًا في كنيسة القيامة، يريدون مني إدوارد بأي ثمن، وإن لم أستطع فعل ذلك سوف تحق علينا الدينونة، لا سبيل للمزاح مع هؤلاء، حدثت أشياء غير منطقية، وكأنني لا أعرف الرابطة وأعضائها، بالرغم أنني انتسبت إليها وأنا في سن السابع عشر وأنا الآن في الثامن والخمسين، مضى على انتسابي واحد واربعون عامًا لم أستطع فهم الكثير من الأحداث التي جرت! تذكرت كلمات تلك المرأة التي التقينا بها أنا وأنتِ في مدينة أمستردام في مطلع العام (١٩٤٠م) : سوف تحارب من أجل إيمانك وأفكارك؛ وفي الأخر سوف تقتلك أفكارك التي وثقت بها، الحقائق تتغير بتغير الزمن... كاثي، يجب أن نجعل من جايكوب صلة وصل بيننا وبين إدوارد ومارتن!!

رن جرس الهاتف

- الو
- نعم، من معي؟
- كيف حالكِ كاثي؟
- أهلًا بكِ، من أنتِ؟
- أنا ماريا شقيقة إدوارد وعمة جايكوب.
- أعتذر لم أستطع تمييز صوتكِ؛ لقد مر زمن طويل منذ أخر لقاء لنا.
- لا عليكِ، أنا فقط اتصلت بك من أجل أن أرتب موعدًا معكِ؛ لأن الأولاد يرغبون برؤية جايكوب.
- يسعدني ذلك جدًا.
- متى نستطيع الحضور؟
- مساء يوم الجمعة.
- إذن بعد يومين سوف نأتي لزيارتكم.
أغلقت الهاتف.
- لقد حُل الأمر يا ميشيل؛ الصادقون يدبر أعمالهم الرب، لقد اتصلت بي ماريا عمة جايكوب وقالت إنها تريد زيارتنا؛ لأن مارتن وسالي يريدون رؤية جايكوب وحددت موعدُا مساء يوم الجمعة.

- غريب! هناك خطبٌ ما يحدث، لا أعلم ما هو لكن الأمور تسير بطريقة غريبة جدًا! أنا لم أعهد مثل تلك التناقضات في حياتي!

- لا تخلق الكوابيس والهواجس من العدم، لقد حدث مثلما كنت تتحدث قبل قليل من دون فعل أي شيء، وعند مجيء الأولاد سوف أحاول إقناع مارتن أن يجعل والده يعمل في المركز.

- مستحيل أن يفعل ذلك.

- أنت لا تعلم أين نقطة الضعف، لا يستطيع أن يرفض طلب لمارتن، دع الأمر لي.

الفصل الرابع والثلاثون

- ماذا حدث لي عندما دخلنا إلى القبو يا مارتن؛ أشعر وكأن إرادتي سُلبت مني، هل فعلت أمرًا أحمق أخبرني؟

- وما عساي أن أفعل يا سالي؟

ذهب مارتن للنوم، حاول النوم لكن لم يستطع، سمع ضوضاء تصدر في الممر، فتح الباب قليلًا نظر إلى المرر وكانت الجدة سالومي تسير بخطوات بطيئة، تعجب من رؤيتها فلم يمضِ على تعرضها للحادث سوى أربعة أيام! تبعها بخطوات سريعة للوصل إليها في الجانب المظلم للممر، دخلت إلى الغرفة المحرمة، فتحت القبو، بعد مرور بعض الوقت كانت تتحدث مع شخص لم يكن مألوفًا لي، يا ترى من كان ذلك؟ كان صوته حادًا جدًا، لمحت ظله فقد كان باب القبو مفتوح، وكان هناك عقد مُلقى على الطاولة التي قرأت عليها سالي كتب بالدم، قالت له الجدة:

- لقد فعلت ما تريد، يجب أن تمنح مارتن المكانة التي يستحقها، يجب أن يحظى مكانة الجد ريتشارد.

لم أفهم لماذا أنا كنت المختار بالرغم ان ذلك أسعدني؛ لكنني لم أعلم لماذا لم يختاروا جايكوب بدلًا عني؟! قال خادم الظل:

- عد يا مارتن، سوف تكتشف الجدة وجودك ولن يسر هذا الأمر السيد كرودوس...

- الو

- مرحبًا إدوارد كيف حالك؟

- أنا بخير كيف حالكِ يا كاثي؟

- يجب أن تأتي إلى منزلي في المساء؛ فقد رُتب لقاء لحضور الأولاد وماريا اليوم، ويجب أن تكون من ضمن الحضور، أعلم أن هذا الأمر يرهقك، لكن من أجل الأولاد نفعل ذلك.

-أعتقد أن الأمور خرجت عن السيطرة يا ماريا.

- ماذا تقصد يا جوش؟

- أنتِ تعلمين ماذا سوف يحدث، لا أعلم لِمَ تلتزمين الصمت؟! هل يروق لكِ الدماء التي سوف تسفك في الأيام القادمة؟

- أنت تعلم أن الإنسان ليس بمقدوره أن يغير قدره، نحن نسعى إلى تحقيق أكبر مكسبًا لنا في الوجود، أن نكون ملزمين بتنفيذ الأوامر المناطة بنا للقيام بها.

- سالي، تعالي إلى غرفتي.

- ماذا ستفعلان؟

- أرغب بالدراسة مع سالي، هي صديقتي الوحيدة.

دخلت سالي إلى غرفة مارتن بعد أن ذهبت العمة ماريا
- خذي هذه القارورة الصغيرة، عند الدخول إلى منزل السيد ميشيل، تضعينها على جسدك، هي أشبه بالعطور؛ مفعولها لا يمكن كشفه من قبل الآخرين، وتأثيره يكون فقط على جايكوب بعد أن يشم رائحتك بعد خمسة ساعات سوف يفقد الوعي مما يؤدي إلى الوفاة بعد مرور أربع ساعات، الأضرار البالغة التي تتركها على الجسد، الأمر أشبه بتعويذة تلقى على الأشرار.
حضر الجميع إلى منزل كاثي في تمام الساعة الثامنة ليلًا باستثناء إدوارد الذي تأخر في الوصول، التقى الأولاد بعد مضي عدة أشهر من أخر لقاء، اقتربت سالي قامت باحتضان جايكوب، وألقى التحية مارتن على كاثي وميشيل، بدت علامات الريبة تعتري ميشيل، وكأنه كان يخشى رؤية إدوارد، بعد مضي ساعة حضر إدوارد، وكان الجميع سعداء باستثناء جوش؛ إذ ظهرت عليه علامات عدم الارتياح، نظر إلى ميشيل والشر يخرج من عينيه، نشب شجار في الكلام بين إدوارد وميشيل
- أنت شخص خائن ومعتوه، سوف أعاقبكم جميعًا، أنتم سعداء إلا أنا قد خير لي أن أعيش مع البؤس، تتركون البؤس لي وتكتنزون السعادة لكم! جميعكم خونة، لن أسمح أن يبقى أبنائي مع

معتوهين مثلكما، مارتن وجايكوب هم أبنائي أنا لوحدي، أنت لست سوى طفيلي يقتات على سعادات الآخرين.

في لحظة غضب غير محسوبة قال ميشيل:

- أنت أحمق ولا تعلم أي شيء، كاثي لم تحبك مطلقا، لقد كنت مخدوعًا بذلك ليحدث ما يحدث، هل تعلم لماذا كاثي فضلت جايكوب على مارتن، ولم تطالب كثيرًا بالحصول على مارتن؟ لأن مارتن ابنك أنت.

- وماذا في ذلك يا أحمق؟ كلاهما من صلبي!

- لا، جايكوب هو ابني أنا، الذي أنجبته من علاقة بيني وبينها، عندما أرسلك المعهد إلى ريو دي جانيرو، في صيف العام (١٩٥١م).

تعرض الجميع للصدمة، ماذا يقول؟ هل يعقل أن فعلت كاثي ذلك؟!

- أجيبيِ كاثي هل حدث مثل ذلك؟

- حدث... أقصد لم يحدث.

- كيف تفعلين ذلك؟ أنتِ شيطان، سوف أقتلك يا ميشيل تأكد من ذلك سوف أقتلك أقسم لك.

اعتقد الجميع أن إدوارد خرج ولن يعود، لكنه صدم الجميع لقد دخل وبيده مسدس نوع توكاريف TT-٣٣ أطلق النار ولم يستطع إصابة ميشيل به، استطاع أن يلوذ بالفرار وبدأ بالجري خلفه، وصل إلى الغابة المظلمة قرب السور الكبير، كانت كاثي صامتة وكأنها تعرضت لصدمة كبيرة.

كيف يعقل أن يكشف مثل هذا الأمر المهم وأمام الجميع؟! حاول اللحاق بميشيل إلا أنه قد اختفى بداخل الغابة ولم يجد له أثرًا، عاد إلى كاثي قائلا:

- هل كنت أستحق أن تفعلي بي كل ذلك؟ كيف تخونيني مع ذلك الأصلع البدين؟!

- أنا كنت مجبرة في الأصل أن أتزوج منك، كانت تلك الأوامر، نفذت ما طلب مني، لم يطلب مني أن أحبك، أو حتى أن أحافظ على تلك العلاقة اللعينة هل فهمت ما أقول؟ أن كنت تمتلك تلك الجرأة اقتلني، أنا لا أخشاك ولا أخشى الموت، لقد أهملتني وتعاملت معي وفق رغباتك، كنت منهمكًا في العمل بينما أنا أصارع وحدتي وألمي بفراق والدتي؛ أين كنت عندما كنت أحتاج إليك؟ أجدك تغرق في أبحاثك، اذهب أنت وأبحاثك التي لا شأن لي فيها إلى الجحيم أنت ورابطة الظلام، أنا سئمت من كل ذلك، ماذا تخال نفسك فاعلًا في منزلي؟

غـادر ولا أرغـب برؤيتـك، ارحـل ولا تعـد إلـى هنـا مـرةً أخـرى، جايكوب هو ولد ميشيل وليس ابنك افهم ذلك جيدًا.
- سوف أرحل، لكن تأكدي سوف تدفعين ثمن ذلك باهظًا جدًا جراء ما فعلتِ.

الفصل الخامس والثلاثون

اللحظة الحاسمة

بيت كفاروت

في الساعة (٦:١٣ صباحًا) بعد انتهاء يوم أمس نهاية تعيسة علم الجميع الحقائق التي كان من المفترض أن تبقى طيّ الكتمان، نهضت كاثي من السرير يملأها الحزن، ذهبت صوب غرفة جايكوب، فتحت باب الغرفة خالجها شعور الخوف لا تعلم لماذا شعرت بالسوء وكأن هناك أمر ما سوف يحدث.

بخطوات مثقلة بالخوف وعدم الأمان، اقتربت أكثر فأكثر من السرير، لم تكن أي حركة في السرير، وكأنها جثة هامدة على السرير، رفعت الغطاء صرخت:

- يا إلهي، ماذا حدث! ميشيل، أرجوك تعال وساعدني.

دخلت حالة هستيرية، لا تعلم ماذا جرى لها، فقد كان جايكوب ممدًا على السرير وجسده مملوءًا بالبقع السوداء على جسده كأن الطاعون قد شوه ملامحة البريئة، أصبح مثل الفكرة المقدسة التي تدنس بأخطاء الآخرين، على صوت صراخ كاثي استيقظ ميشيل وبدأ يجري من دون تفكير مسبق، وجد كاثي

تجلس على الأرض تصرخ وتشير بيدها إلى السرير، نظر ميشيل إلى جايكوب اعترته الدهشة من مظهر جايكوب.
حركه يسارًا ويمينًا لم يبدِ أي ردة فعل، وضع يده على رقبة جايكوب لم يجد أي نبض، علم أن جايكوب قد مات.
كاثي:
- قُل لي أن جايكوب بخير.
- كاثي، يجب أن نأخذه إلى المستشفى.
حمله ميشيل وكان يعلم أنه قد مات منذ زمن ومن البقع السوداء علم من الفاعل؛ وضعه في سيارته المرسيديس وبدأ يقود السيارة بسرعة جنونية إلى مستشفى الكاهن الأعظم، وكان يعلم أن الأوان قد فات، بعد وصولهم إلى المستشفى أخذ الأطباء جايكوب وقاموا بإجراء الفحوصات
- إدوارد من فعل ذلك، أقسم سوف أقتل ذلك الوغد اللعين، أخبرتك أن لا تتحدث بمثل هذا الأمر، انظر ما جرى إليه الأمر.
خرج الطبيب وتحدث مع ميشيل قليلًا ورحل، تحركت كاثي تجاهه بخطوات خائفة تخشى ما سيقول لها، - كاثي، لقد رحل جايكوب إلى السماء، أبناء الرب يجب أن يعودوا يومًا ما، الذات الإنسانية هي جزء من الذات الإلهية، سوف تحل اللعنة على من

قتله، هي إرادة الأب يجب عدم الاعتراض على إرادته، وقع الصدمة كان مؤلمًا وقاسيًا على كاثي مما أدى إلى فقدانها الوعي.

بعد عودة مارتن من المدرسة يوم السبت، كانت الجدة تذهب إلى المذبح؛ لتسترد ذكريات ريتشارد، وكيف كانت تحيا معه بالطمأنينة التي فقدتها منذ أن رحل بظروف غامضة...

ليتك لم ترحل وتتركني وحدي أقاتل في هذا العالم البائس، أبناء لا يقدرون إيماننا المطلق بالخلاص، وأحفاد طامعين بالسلطة، أعتقد أن اللعنة التي تحدثت عنها حلت بنا وانتهى الأمر؛ فقد عمل كرودوس كل شيء وحده، وأعتقد أنني الشخص التالي، لا تقلق يا عزيزي سوف آتي إليك قريبًا، لستُ سالومي التي تركتها، فقد غير الزمان كل ملامحها وأنهك روحها.

هنا الخطيئة الأولى غفرت هل سوف يغفر ليّ؟! لقد قلت لي يومًا إن طلب المغفرة أشد وقعًا في النفس من الخطيئة نفسها، ليتك كنت معي الآن، تعبت حقًا يا ريتشارد.

خرج مارتن من قبو الكوليسيوم فاقد السيطرة على نفسه

- سالي، اتبعيني إلى الحديقة أرغب بالتحدث معكِ

- لماذا لا نتحدث هنا؟

- لا أريد أن ألفت الأنظار نحونا، اتبعيني من دون أن تطرحي أي سؤال.

كان مارتن المتحكم في سالي التي بدت وكأنها آلة بيد مارتن، كانت هناك طاولة وخمسة كراسي في الحديقة، جلس مارتن ومن ثم اتبعته سالي

- أنتِ أبليتِ جيدًا في الأمس، هناك مهمة أخرى يجب أن تقومي بها.

سالي:

- ماهي؟

- عليكِ قتل إدوارد؛ لأنه يشكل عائقًا في مهمتنا.

أصبح مارتن لا يتحكم بنفسه؛ فقد سيطرت عليه قوة الشر التي تقوم عليها رابطة الظلام، فقد سيطر عليه الظلام، عندما ينعدم النور المنبثق من ثنايا الروح، يصبح الإنسان عدو للإنسان، السلطة والقوة وقلة الوعي جعلت من مارتن أداة بيد رابطة الظلام.

ذهب إدوارد وقلبه مليء بالشر يرغب بقتل ميشيل إلى مركز الأبحاث السري، بعد محاولتهم الكثيرة لمنع إدوارد من الدخول قال لهم:

- أنا عدت إلى العمل في المركز وأرغب برؤية ميشيل.

لكنه تفاجئ من عدم وجود ميشيل في المركز، عاد إلى رجال الآمن يسألهم، وكان من بينهم وافدٌ جديد لا يعلم الأحداث التي جرت، أجابه ومن دون سابق إنذار:

- إن ميشيل مُنح إجازة من الإدارة العليا لمدة عشر أيام؛ نظرًا للأحداث الطارئة التي حدثت في صباح الأمس معه، فقد توفي ولده جايكوب بشكلٍ مفاجئ.

- ماذا حدث؟ جايكوب مات!

وعيونه تنهمر بالدموع:

- كيف مات، ولماذا لم يخبرني أحد بذلك؟

- لا أعلم سيدي، فقط أعلم أنه في المساء لم يكن يشكو من شيء، وفي الصباح وجدوا بقع سوداء على جسده وقد فارق الحياة.

بقع سوداء هل يعقل حدث ذلك! أوه، لقد نسيت الأمر برمته أن كان جايكوب ليس من صلبي، إذن سوف يلاحق كرودوس مارتن وسوف يسعى للسيطرة عليه، اللعنة عليك لورنس لقد فعلتها بي!

عاد مسرعًا إلى منزل الجدة سالومي

- مارتن، أين أنت؟ مارتن، تعال إلى هنا بسرعة.

- ماذا هناك يا أبي؟
- تعال معي بسرعة.
- لديّ عمل كثير يا أبي، هناك واجبات لم أقم بإنجازها إلى الآن، يجب أن أكمل عملي اليوم وفي الغد نذهب إلى المكان الذي ترغب فيه.
- لا، يجب أن نذهب الآن، الأمر ضروري.
ذهبا إلى منزل إدوارد
- كاردينا، أحضري الكتاب المقدس، وضعته على الطاولة في غرفتي، تعال اجلس بقربي، هل كنت تشكو من شيء في الآونة الأخيرة؟
- لا لم يحدث شيء، لكن لا أعلم لماذا تتحدث معي هكذا؟!
- هل تعلم ماذا حدث في الأمس؟
- ماذا تقصد؟
- هل فعلت شيئًا ما للانتقام من والدتك كاثي؟
- لا، لم أفعل شيئًا، وماذا عساي أن أفعل؟! حدث ما حدث يا أبي لن نغير الواقع مهما حدث.
- لقد توفي شقيقك.
رد ببرود:

- وما شأني بذلك، كل خطيئة لها ثمن فقد دفعوا ثمن أفعالهم الحمقاء، هو أخي ويؤلمني ذلك، لكن لكل فعل أثم عقاب، وقد استحقوا العقاب يا أبي، لِمَ أنت مهتم؟
- اصمت!

الفصل السادسة والثلاثون

- مهما يكن هذا شقيقك.

- ليس صحيحًا، هو نغل ميشيل.

قام إدوارد بضرب مارتن حتى سقط على الأرض، شعر إدوارد بالخوف بعدما نظر إليه مارتن بنظرةٍ مليئة بالشر، أصبح مارتن شخصًا حقودًا وسيئًا جدًا ولا يوجد في قلبه رحمة، يعامل من حوله على أساس الحب والكره الناتج من الأفعال المادية، بدون وضع أي عذر أو مسوغ لأفعالهم.

- اكتفيت بهذا القدر أم تريد المزيد، لم تكن يومًا أبًا جيدًا؛ طالما عاملتني كأنني حظك السيء الذي لازمك طوال حياتك، اضرب مرةً أخرى، لكن لا تحملني وزر أعمالك.

فتح الكتاب المقدس، وبدأ يقلب صفحاته إلى أن قال لمارتن:

- اقرأ وفسر لي هذا النص

(فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ ٱلرُّؤَسَاءِ، مَعَ ٱلسَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ ٱلْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا ٱلدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ ٱلشَّرِّ ٱلرُّوحِيَّةِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ)[٢].

[٢] العهد القديم، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، (اصحاح ٦: فقرة١٢)

- إيمانك يا أبي لا يقدم شيئًا، العمل الجاد هو تأصيل الوجود الفعلي.

كيف؟ لفتى لم يبلغ الثامنة عشرة أن يتحدث هكذا؟!

- فهمت أمرًا واحدًا أن تقاتل مع الحق مهما كان ثمن هذا الحق.

- أنت لا تعلم أين الحق، رابطة الظلام تزيف لحقائق التي يؤمن بها المخلصون لتحقيق أغراضهم الدنيئة.

- لا تعلم يا أبي أين يقبع الحق في ظل فوضى تغيير الحقائق المادية، إذ طغى التغيير على الواقع المعنوي مما أثر بشكل مباشر على البعد الحقيقي لواقع المعروف، أدى ذلك إلى اعترف نوعي بأسبقية وجودية للحقائق المزيفة على الحقائق الفعلية.

كل هذا الأمر جعل من رابطة الظلام تسعى إلى امتلاك تلك النصوص، لتحقيق مساعي كانت ولا زالت ترغب في الوصول إليها عبر إحداث تغيير لاهوتي يضمن مصالحها في أورشليم، أرض الآباء التي كانت بمثابة حلم كبير يرغب المخلصون الوصول إليه، فقد خلطوا بين دينين جعلوا من يسوع منقذًا لتحقيق خلاصهم بربط الخلاص بين الأخوية واليهودية.

أن تصل إلى هدفك المرجو يجب أن تكون مخادعًا وماكرًا، لا تصل إلى تلك الوجهة المقصودة من دون خداع، الصدق عملة قديمة عفا عليها الزمن، غير **البيوريتانيين** الكثير من الحقائق منذ زمن مديد للوصل إلى أهداف أخلاقية تنافي اللاهوت والمنطق.

ماذا تعني بالبيوريتانية؟

مجموعة أشخاص يطلقون على أنفسهم الاحرار، وهم في الأصل عبيد لدى رابطة الأخوية التي تعمل لدى رابطة الظلام، استغلوا اللاهوت للوصول إلى أهداف مادية؛ لا قيمة لها مطلقًا.

قرعت سالي باب الغرفة:

- هل أستطيع الدخول جدتي؟

- نعم، ادخلي يا سالي.

- لقد أتيت من أجل ان الاطمئنان عليكِ، هل تريدين أن أفعل لكِ شيئًا؟

- أنا تعبه جدًا، أحتاج إلى الراحة.

قامت بمسح جبينها بمنديل أسود نُقش عليه قمر ذو لون أحمر ومسحت جبينها، نظرت الجدة إليها

" لقد فعلتها يا كرودوس، غدرت بي وكنت أعلم سوف تفعل ذلك، إذن حقت علينا الدينونة في العالم العلوي".

بعد نقاش طويل، توصل إدوارد إلى نتيجة أن مارتن بدأ يأخذ طابعًا فلسفيًا، لكن الغريب لم تثبت صحة تلك الشكوك.

ذهب إدوارد ومارتن إلى **بيت علمين** لحضور مراسم دفن جايكوب من بعيد، بالرغم أن مارتن عارض فكرة الذهاب في الأول، لكن أجبر على الذهاب، كان صوت كاثي يملأ الأرجاء، وكان هناك حاخام وكاهن يقفون بالقرب من قبر جايكوب، ووضع على القبر علامة مثلث وبالقرب منه كأس ينسكب منها ماء، رُسمت نقشة باحتراف!

عندما يصبح الانسان آلة تتبلد الأحاسيس، ويسيطر اللاوعي على الوعي الذاتي الذي يحدد الصواب من الخطأ، أن تكون شخصًا حقيقيًا في وسط مجموعة مزيفين هو أمر صعب جدًا، يتطلب منك التكييف معهم بتكذيب الوقائع وتصديق الأكاذيب.

خرجت سالي على صوت بكاء ماريا ويحتضنها جوش

- هوني عليكِ، سوف يعامل الرب الجميع بالعدل نفسه، من قتل سوف يُقتل تلك هي النبوءة، كان يجب أن يموت جايكوب، كان مقدرًا أن يحدث ذلك له.

وقفت سالي تنظر إليهم، وبدأت تتذكر ما فعلت، انتابها الحزن لما فعلت وبدأت تصرخ بجنون:

- لماذا حدث ذلك معي؟!

نظر جوش إلى سالي مصدومًا؛ لأنهم أرادوا إخفاء الخبر عنها، لكن قد فات الأوان، ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب على نفسها وبقيت تبكي إلى أن فاق الألم جسدها وخذلها وسقطت مغشيًا عليها، بعد أن استيقظت وصفت ما جرى لها بأن الإنسان عندما ينام وهو حزين ويشعر بالذنب لا يعود الشخص نفسه الذي كان عليه بعد تلك الليلة.

جهزت ماريا الطعام وأخذته إلى والدتها، بعد أن غسلت وجهها وأعادت تجهيز نفسها خشية أن تعلم ما حدث لجايكوب ويصيبها مكروه، قرعت باب الغرفة ولم تجد استجابة ومن ثم أعادت الكرة فلم تجد إجابة، فدخلت إلى الغرفة، وكان الصمت يعم الأرجاء

- أمي استيقظي، لقد أحضرت طعام العشاء.

لم تجب خشيت أن مكروهًا قد أصابها، رفعتُ الغطاء عنها فوجدتها لا تتحرك، لمست جسدها كان شديد البرودة، صرخت:

- جوش، تعال إلى هنا ساعدني، جوش تعال بسرعة، لقد حدث مكروه لأمي، أرجوك اسرع.

دخل جوش مسرعًا لم يعلم ما حدث، حمل الجدة سالومي بيديه وأخذها إلى السيارة وانطلق بها بسرعة جنونية تجاوز فيها جميع إشارات المرور؛ تعقبته إحدى دوريات المرور في مدخل حي باتي براك إلى أن وصل للمستشفى وخلفه صافرة إنذار الشرطة، نزل بسرعة من السيارة يحمل الجدة سالومي بيده طالبًا المساعدة، هرع الممرضون إليه وحملوها إلى قسم العناية المركز بعد أن قال لهم:

- قد تعرضت لإصابة قبل قرابة شهر وخرجت من العناية المركزة قبل عشر أيام، لكن كنا نعتقد إنها تماثلت للشفاء.

في هذه الأثناء وصل إدوارد إلى المستشفى مع مارتن؛ سأل:

- ماريا، ماذا جرى؟

- لا أعلم، فقد دخلت أعطي أمي الطعام فوجدتها فاقدة للوعي ولا أدري ماذا حدث لها.

خرج الطبيب قائلًا:

- من أقرب شخصًا إليها؟

- أنا ولدها، وهذه ابنتها، وهذا حفيدها، وهذا صهرها، جميعنا أقرباء أخبرني هل هناك خطبٌ ما؟

صرخ في وجههم:

- لِمَ أنتم مهملون لهذا الحد؟ كيف تخرجون امرأة طاعنة في السن من المشفى من دون التأكد من حالتها الصحية؟

أجاب بعدها ببرود:

- لقد فارقت الحياة بسبب نزيف حاد في الدماغ.

صعق إدوارد من كلام الطبيب، وكأن أطرافه قد شُلت والدم توقف في عروقه:

- لقد أخرجتها بنفسي وتأكدت من صحتها، وأخبرني الأطباء إنها بحالة جيدة!

- هذا النوع من النزيف يا سيد إدوارد لا يُكتشف في الفترة الأولى من التعرض للحادث، يحتاج معاينة زمنية مستمرة لمدة شهر على أقل تقدير.

لقد كان الطبيب رحيمًا بوالدتي أكثر مني ومن ماريا، نحن أبناء سيئون، بالرغم مما تعرضت له من ظلم طيلة حياتي إلا إنها كانت أمي، في الأمس جايكوب ولدي الذي لم يكن من صلبي، واليوم أمي من يا ترى سوف يكون في الغد! عالم بائس لا يستطيع أن ينعم أحد به، أن تشعر بالأمان في ظل دينونة الواقع أمرٌ يستحيل حدوثه وأن حدث فأنها مسألة نسبية.

الجميع حولي يبكون بحرارة: ماريا، ومارتن، وجوش البليد، وكاثي، وميشيل... هل يعقل أن الخلل فيّ أنا، أم الحزن أصبح صناعة مزيفة يستعملها الجميع؛ ما حدث ليس له تفسير منطقي، وأن كان المنطق في بعض الأحيان يكمن في المنطق، فأن استيعاب أمور كهذه بالغ الصعوبة.

بعد شهرين من البؤس الخانق، حلَّ الصمت في داخلي بشكلٍ مريب، بدأ يحتل جوفي وكأني شخصٌ آخر ليس لي وجود في هذا العالم، مع الوقت أصبحت ألاحظ تغييرات كبيرة في منزل ماريا، جوش البليد أصبح لطيفًا وحساسًا ويبتعد عن المشاكل، مارتن الخجول أصبح أناني وانتهازيًا، أما سالي المرحة أصبحت منطوية على ذاتها، ماريا القاسية أضحت هشة جدًا كالزجاج، كل شخص يستطيع أن يكسرها بكلمة واحدة، وكأن رحيل أمي قد غيّر عوالم الجميع وليس عالمي.

الانتقام يسيطر عليّ ويحكم زمام الأمور، يجب أن أقتل ميشيل لأعيش أخر أيام حياتي بسلام، وفي ليلة اكتمال القمر طلب خادم الظل من سالي أن تقتل إدوارد؛ وبعد أن علمت ما سيحدث قامت بمنتصف الليل من فراشها يائسة خائفة من قيامها بأمر يجعلها تعيش مع الذنب طيلة حياتها،

أقسى ما يتعرض له الإنسان القهر النفسي، أن يظهر أمام الآخرين بكامل قوته، وفي الأصل هو أضعف شخصًا بينهم، أن يفقد الإنسان الحب تجاه الحياة أسوأ عقوبة قد يتعرض لها أحدهم.

نظرت إلى السماء المرصعة بالنجوم من أعلى سطح المنزل، تتمنى أن يعود بها الزمن لتصحح أخطائها، في لحظة ضعف أدركت ليس هناك مفر سوى الاستسلام، رمت نفسها من أعلى المنزل بارتفاع أحد عشر قدمًا على الحديقة، كُسر العديد من عظام جسدها؛ بسبب شدة برودة الجو، كانت طريقة موتها بشعة جدًا وبطيئة في آنٍ واحد، وكأنها كانت تدفع ثمن ما فعلته.

كاثي كانت تعيش حالة من الاكتئاب الحاد طيلة تلك الفترة، ألم الفقدان يتجاوز كل ما يشعر به الإنسان في خسارة أي شيء في حياته، حاولت التواصل مع مارتن وسمح لها إدوارد رفقًا بحالها، لكن كان مارتن رافضًا لفكرة وجودها في العائلة أو حتى التواصل معها، مما جعلها تذهب إلى الأطباء النفسيين لوصولها إلى حالة يرثى لها، في حين كان ميشيل يعيش أوج حياته؛ وكأن جايكوب ليس ابنه ولا يعنيه أمر كاثي!

الفصل السابع والثلاثون

ضريبة الشر

(٩ أغسطس ١٩٦٥)

بعد مرور عامين...

كانت ماريا وجوش يراقبون مارتن وهو يكبر بصمت، والحزن ينهش أرواحهم، فقد أصبحت الأجساد خاوية لا تقوى على الحزن، وكالعادة أثناء جلوس مارتن لوحده في القبو يقرأ ويطالع الكتاب المحرم مرارًا وتكرارًا سمع أحدهم يحدثه، لكن هذه المرة الصوت كان مختلفًا عن صوت خادم الظل، فقد كان أكثر خشونة:

- اسمع يا مارتن، يجب عليك أن تلتقي لورنس، أنه قائد أرض أهل الشرق، وتم اختيارك لدمائك المقدسة، الآن سوف تتواصل معي مباشرة.

- من أنت؟

- أنا كرودوس

ضحك مارتن قائلًا:

- كنت في انتظارك طيلة هذه المدة.

- أنا سوف أخدمك، لكن عليك أن تمنحني قوتك عن طريق قيامك بالأعمال التي أعطيها لك من دون تردد.
- إذن اتفقنا على ذلك.
عقد العقد الجديد بين الشر المادي(مارتن) وكرودوس الشر(المعنوي غي الملوس)، عليك قتل والدك إدوارد بعد ان يقتل ميشيل لتتولى مهمة رئاسة الرابطة في الشرق الأقصى لتحقيق الخلاص اللاهوتي.
ترك إدوارد العمل في جامعة بار إيلان، وأصبح يفكر في الانتقام وقتل ميشيل؛ لما حدث له بسبب ميشيل، بدأ يفكر في خطة يقتل ميشيل بها، وازدادت رغبته في قتله؛ بعد أن رأى الحال التي وصلت إليها كاثي بسبب إهماله، هذا الحب من نوع آخر أن تنتقم لأجل عائلتك ولذاتك، تخبره مرارًا:
- عليك أن تنسى أمر الانتقام وتعيش لأجل مارتن الشاب اليافع، فقد خسرت ماريا سالي ولا تستطيع أن تخاطر بخسارة أي شخص من أفراد العائلة، الجميع يعلم ما تعرضت له من ظلم يا إدوارد.
- لكن الجميع لم يشعروا بما أشعر أنا الآن، أن أكون شخصًا مهزومًا من الداخل أمرٌ محزن بحق؛ أصبحت أشعر أن العالم قد

ضاق ذرعًا مني ومن تصرفاتي، قبل أن أرحل من هذا العالم يجب أن أصفي جميع الحسابات.

- كيف تفكر بتلك الطريقة هناك من يهتم لوجودك؟ أنت جننت وأصبحت تريد قتل ميشيل لأنه حرمك من كاثي وليس من أجل جايكوب.

- الأمر ليس كذلك، يجب على المتطفلين في هذا العالم أن يدفعوا ثمن أخطائهم، فأن تركنا هذا إلى يوم الدينونة سوف يستبد الأشرار ويرحل الخير ولن يكون لنا وجود، الجميع يتلاعب في الدين من حولنا لتحقيق مكاسب زهيدة، الاعتقاد أشمل وأوسع يا ماريا من الدين نفسه، يجب أن تؤمنين أن هناك أشخاصًا في الأرض يحققون عدالة السماء.

غادر المنزل وركب سيارته واتجه إلى منزل ميشيل يضع مسدسه في داخل سترته، قرع جرس الباب، فتح له الباب وكأن ميشيل كان بانتظاره، ركب السيارة معه، واتجها نحو كنيسة القيامة، نزل إدوارد والأمل يغزو كينونته، بعد الدخول إلى دير الكنسية جلسا حتى يكفر كل منهما ذنوبه أمام القداس، بدأ بالاعتراف كل منهما على حدة، خرج ميشيل بعد الاعتراف وقد شعر أنه ارتكب خطأ جسيمًا بتنفيذ أوامر لورنس الذي أجبره على رؤية

إدوارد في الكنيسة وترتيب موعد بينهما، وأجبر ميشيل أن يأخذه إدوارد من منزله إلى الكنيسة بسيارته، بعدما شاهد إدوارد يصوب المسدس تجاه ميشيل، شعر بالخوف الشديد حتى سقط على الأرض من الخوف، أطلق الرصاصة الأولى في قدمه اليمنى والرصاصة الثانية على قدمه اليسرى والرصاصة الثالثة في صدره.

بدأ ميشيل يحتضر في داخل الكنيسة، نظر نظرة حقد يملأها الغيض والضغينة

- لن يغفر الرب لك.

ابتسم إدوارد وقال لميشيل:

- هذا الشر الذي كنت احملهُ في داخلي منذ زمن للقيام بأمر سيء والآن أنا فعلت.

ومن ثم أطلق رصاصة في رأسه وأرداه قتيلًا، توجه إلى الكاهن طلب منه الاعتراف ويداه ملطخة بدماء أحد المعترفين بالخطيئة

- لقد بلغت من العمر ما يجعلني أتمنى أن أرحل بسلام أيها الكاهن، الموت فكرة رائعة في حال كنا مستعدين لها.

وأثناء محاولة الخروج من الكنيسة، دخل ثلاثة أشخاص إلى الكنيسة، كان أحدهم لورنس وبينجامين يضحكون وهم ينظرون إلى إدوارد الذي أراد أن يطلق النار عليهم، لكنه تفاجأ بتعرضه

لإطلاق ناري من باب الكنيسة أصابه في يده اليمنى التي يحمل فيها السلاح قام بينجامين بأخذ السلاح من يده.

قال لورنس:

- أحسنت، اقترب أكثر يجب أن يتعرف عليك إدوارد قبل أن يرحل إلى الملكوت.

نظر إليه وملأت عيناه بالدموع:

- هل يعقل أن تكون أنت! لماذا فعلت ذلك؟

لقد خدعتني طيلة الفترة الماضية!!

- تبًا لك يا جوش؟ كنت دائمًا شخصًا ناكرًا للجميل.

بعدها أطلقت رصاصة أخرى أصابته في قدمه، اقترب من الظلام ظلٌ لم يكن غريبًا عليّ، كأني كنت أعرفه

- إذن فليمت إدوارد ليرتاح الجميع.

- هل جننتم؟ حتى أنتِ يا ماريا، كنتِ مشتركة معهم!

- آسف يا إدوارد، هذه أوامر سيدي، لا أستطيع أن أرفضها

- ماذا فعلت بهم يا لورنس اللعين؟

- أعتقد أنك فهمت الأمر بصورة خاطئة، قالت سيدي ولست أنا سيدها، سيدها هو نفسه سيدي.

دخل ويرتدي ملابس سوداء وبيده صولجان كوهين، كان شابًا يافعًا ،دمعت عيون إدوارد:

لقد انتزعوك مني كما يُنتزع الإيمان من الشخص المؤمن، مارتن!

حسنًا، قال إدوارد جملته الأخيرة: "موعدنا هناك".

مات إدوارد، ودخلت كاثي مصحة للأمراض العقلية، واستحوذ مارتن على رئاسة رابطة الظلام وإملاك كاثي وإدوارد.

الخاتمة

استيقظ إدوارد فزعًا؛ وجد نفسه مرميًا على شواطئ ساو باولو، كان يحلم، وجد الكثير من الناس حوله مجتمعين، كانت الشمس قد لامست عمق المحيط، تساءل في نفسه هل هذا شروق أم غروب؟!

كان جسمه باردًا وغير مرتاح تمامًا، فقد كان معظم ساعات الأيام الثلاثة الماضية فاقدًا للوعي، لماذا رأيت كل ذلك؟ فكرة أغرب من الخيال! كان يعشر وكأنه أحتسى الخمر الفرنسي المعتق لينسى أوجاعه، لكن لا يعلم أنه بدأ يغرق شيئًا فشيئًا، كان في الأيام التي سبقت الحادث منهمكًا في تنظيم كمٍ كبير من الأفكار التي تتدفق في ذهنه؛ لم يكن منتبهًا على شيء لم يكن في الاعتبار، هل يعقل هذا؟

نهض ببطء، كان جسده منهكًا ويسير بصعوبة، وصل حطام السفينة إلى سواحل المحيط الأطلسي، كيف أصبحت سفينة عملاقة إلى حطامٍ متناثر؟!

شد انتباهه إلى قطعة خشبية كان طول قطرها وعرضه لا يتجاوز المترين، اقترب من القطعة الخشبية، هذا شعار السفينة (الجوز)

صرخ قائلًا:
- أين أفراد الطاقم؟
قال له أحدهم:
- لم ينجُ سواك أنت وأنا للأسف يا إدوارد.
بدأ الصوت مألوفًا للوهلة الأولى، نظر إليه بعيون شاحبة ومتعبة:
- أنا يا إدوارد، كان ذنبي أنا! لم أصدق كلامك
ثم بدأ بالبكاء
- هل هذا أنت جاك!
- لم أستطع فعل شيء بعد سقوط سارية السفينة على جزء من رأسك، كان الحطام يتناثر، كأنها الجحيم أسعرت، قفزت خلفك وتمسكت بك؛ لكي لا تجرفك المياه، لحسن حظي كانت هناك قطعة من السفينة تطفو بالقرب مني تشبثت بها، لقد نجونا بأعجوبة، جرفنا المحيط إلى هنا، بدأت بالسير بصعوبة بالغة إلى أن فقدت الوعي ووجدت نفسي في مستشفى "ألبرت أينشتاين الإسرائيلي" بعد أن أفقت أتيت أبحث عنك فورًا، لا يعلم مكانك أحد غيري، انظر لقد أصبت في يدي وأسفل صدري، وجدوني بعد اليوم الأول، كنت مؤمنًا بوجودك على قيد الحياة أسفل الشجرة المقدسة، شجرة مريم المجدلية

التي حدثتني عنها طويلًا، قلت أنها تمثل طوق النجاة عندما كنا صغارًا.

استدار إلى جهة الجنوب وينظر إدوارد إلى المحيط، وكأن هناك رجلًا يقول له:

حكمة من العصور المديدة أتت من أرض الديسابروا:

غرق النور في سطوة الظلام، استحوذ المحيط على الشمس،

ضوء الشمس لن يشرق مجددًا، ساد الظلم

وهرب العدل...

اللاهوت أداة لتحقيق الجور

ترددت أصداء كلمات المحيط كهمهمات أرواح أشباح في دهاليز عتمة الليل...

المحتويات

مقدمة ٤
الفصل الأول ٨
الفصل الثاني ١٦
الفصل الثالث ٢٢
الفصل الرابع ٢٨
الفصل الخامس ٣٤
الفصل السادس ٣٨
الفصل السابع ٤٧
الفصل الثامن ٥٨
الفصل التاسع ٦٢
الفصل العاشر ٦٩
الفصل الحادي عشر ٨٠
الفصل الثاني عشر ٩٦
الفصل الثالث عشر ١٠٢
الفصل الرابع عشر ١٠٧
الفصل الخامس عشر ١١٧
الفصل السادس عشر ١٢٢
الفصل السابع عشر ١٢٦
الفصل الثامن عشر ١٣٦
الفصل التاسع عشر ١٤٤

الفصل العشرون ١٤٨
الفصل الحادي والعشرون ١٥٢
الفصل الثاني والعشرون ١٥٦
الفصل الثالث والعشرون ١٦٤
الفصل الرابع والعشرون ١٦٨
الفصل الخامس والعشرون ١٧٥
الفصل السادس والعشرون ١٨١
الفصل السابع والعشرون ١٨٧
الفصل الثامن والعشرون ١٩٢
الفصل التاسع والعشرون ١٩٧
الفصل الثلاثون ٢٠٢
الفصل الحادي والثلاثون ٢١١
الفصل الثاني والثلاثون ٢١٧
الفصل الثالث والثلاثون ٢٢١
الفصل الرابع والثلاثون ٢٢٩
الفصل الخامس والثلاثون ٢٣٥
الفصل السادسة والثلاثون ٢٤٢
الفصل السابع والثلاثون ٢٥١
الخاتمة ٢٥٧